

# القلب في القُرآن

وأثره في سلوك الإنسان

بقلم

الدكتور / سيد محمد ساد آبي الشنقيطي

أستاذ الإعراب الإسلامي المشارك

بجامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية

دار عالم الكتب

للطباعة والنشر والتوزيع

الرياض



القلب في نزول القرآن

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م



# المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره،  
ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات  
أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا  
هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له  
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا  
اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا  
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ  
يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب الآيتان: ٧٠، ٧١.

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين  
سيدنا محمد ﷺ الذي أنزل الله علينا قرآناً به تحيا  
القلوب أما بعد (١).

فإن من أقوم المناهج في إقامة الحياة على أسس  
صحيحة أن تعرض وقائعها ومشكلاتها على القرآن الذي  
يهدي للتي هي أقوم في كل شأن من شئونها ﴿ إِنَّ هَذَا  
الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ  
أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (٢) حيث يمكن فهم الوقائع  
والمشكلات فهماً سديداً ويحد الناس للمشكلات حلاً  
رشيداً.

ولكن هذا المسلك القويم عزّ من يأخذ به في يوم  
الناس هذا من جواء الإيقاع السريع للحياة بسبب طغيان  
الاتجاه المادي.

---

(١) بما قبل الصلاة على النبي ﷺ كان النبي عليه الصلاة والسلام يفتح  
خطبته أياً كان موضوعها وسماها العلماء خطبة الحاجة وهي هنا من  
باب التأسّي والاعتداء.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٩.

ولما كنت ممن من الله عليه بمعايشة كتاب الله  
 معايشة تدبر وتفكر - أسجل هذا شكراً لله سبحانه وتعالى  
 وإظهاراً لنعمته عليّ عملاً بقوله جلّ جلاله ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ  
 رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾ (١) وممن يتابعون وقائع الحياة  
 ومشكلاتها سعياً وراء فهم صحيح وعلاج ناجع يسهم في  
 مساعدة الناس والتخفيف من معاناتهم (٢)، فقد عنّ لي  
 وأنا أشعر بوطأة الاتجاه المادي في الحياة اليوم كما  
 يشعر به غيري من الخاصة والعامة، وكما شعر به العلماء  
 العاملون إبان شيوعه من مثل الشيخ عبد الرحمن  
 السعدي رحمه الله، وذلك حيث يقول «وما أشبه زماننا  
 هذا بهذا الوصف الذي ذكره (٣) ﷺ فإنه ما بقي من

---

(١) سورة الضحى الآية: ١١.

(٢) وذلك ما ينبغي أن يشغل بال العلماء والدعاة والمصلحين باعتبارهم  
 معقد الأمل بعد الله ومصايح الدجى .

(٣) يشير إلى قوله ﷺ: «يأتي على الناس زمان القابض على دينه  
 كالقابض على الجمر» رواه أبو داود وقال الشيخ الألباني إنه صحيح  
 لغيره وذلك في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/٩٥٧).

الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، إيمان  
ضعيف، وقلوب متفرقة، وحكومات مشتتة وعداوات  
وبغضاء باعدت بين المسلمين وأعداء ظاهرون وباطنون،  
يعملون سراً وعلناً للقضاء على الدين والإحاد وماديات  
جرفت بخبث تيارها وأمواجها المتلاطمة الشيوخ  
والشبان... ودعايات إلى فساد الأخلاق، والقضاء على  
بقية الرمق. ثم إقبال الناس على زخارف الدنيا بحيث  
أصبحت هي مبلغ علمهم وأكبر همهم ولها يرغبون  
ويغضبون ودهاوى خبيثة للترهيد في الآخرة، والإقبال  
بالكلية على تعمير الدنيا وتدمير الدين، واحتقاره  
والاستهزاء بأهله وبكل ما ينسب إليه، وفخر وفخفخة،  
واستكباراً بالمدينيات المبنية على الإلحاد التي أثارها  
وشروورها قد شاهدها العباد (١) عن لي أن أتعق أسبابه

---

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار  
ص ٣٦٨، ٣٦٩، دار الريان للتراث، القاهرة، وأشار الشيخ سعيد  
حوى رحمه الله إلى غلبة الماديات وتبرج الشهوات وظهور زينة  
الحياة الدنيا في عصرنا هذا أكثر من أي عصر مضى في نظره =

وأدواءه وأدويته ومظاهره من خلال عرض وقائع حياتنا على كتاب الله سعيًا وراء تشخيص الداء ووصف الدواء وكانت النتيجة المباشرة لتعمق الواقع من خلال تدبر نصوص قرآنية كثيرة أن أمراض القلوب سبب لكثير من المشكلات في حياة الناس اليوم، وأن مناط السعادة في الدارين إنما هو القلب الطاهر السليم. وأن كثيراً من الناس عن هذا غافلون، يحفلون بالظاهر دون الباطن، والحال أن كتاب الله وهو بين أيديهم ما فتىء يحدّثهم عن القلوب من حيث أصنافها، وأحوالها (١) وأسباب

---

= (الربانية ص ١٠٣، دار السلام، ط ١، وكذلك أشار الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق إلى أهمية بعث آداب السلوك والخلق في أمتنا الآن (خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية ص ٨٣، الدار السلفية، الكويت، كما أشار إلى هذا الواقع الدكتور كمال محمد عيسى في كتابه (خصائص مدرسة النبوة ص ٢٣ - ٣٧، دار الشروق).

(١) كل تلك المعاني ذكرها الدكتور ناصر العمر وفقنا الله وإياه في محاضرة قيمة له بعنوان امتحان القلوب.

تلك الأحوال وأثرها في سعادة الإنسان وشقائه حديثاً يستوقف كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . فكان لا بد في نظري من تناول قضية القلوب من خلال القرآن تناولاً قريب المأخذ يمكن عامة الناس من إدراك مكانة القلب في حياتهم ويوجه إلى العناية به بغية الصلاح والفلاح (١) . فقليل منا اليوم من يتفقد قلبه ، بل قليل منا من يتوقف ليسأل نفسه ماذا فعلت بقلبي ؟ وماذا فعلت بقلبي بي . والحال أن القلب موضع الفتنة والابتلاء (٢) ، لذلك توجهت النية إلى تأليف هذا الكتاب الذي أسأل الله أن يجعله عملاً صالحاً خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين . وهو مشتمل على مقدمة

---

(١) لقد شغلت بهذه القضية قرابة الستين وجعلتها موضوعاً لخطبة الجمعة في أماكن مختلفة وتناولتها في محاضرات عامة مرات أيضاً .

(٢) موقفنا من قلوبنا هذا أيضاً ذكره الدكتور ناصر العمر في محاضراته المشار إليها من قبل .

وفصلين وخاتمة، أما المقدمة فهي التي مضت وأما  
الفصلان فأولهما جعلته لأحوال القلوب وضمّنته جملة  
مباحث اقتضتها طبيعة المعالجة، والثاني خصّصته لتأثر  
سلوك الإنسان بحال القلب وجاءت الخاتمة تركيزاً  
للمعاني التي تضمنها الكتاب.

1. The first part of the paper is devoted to the study of the properties of the function  $f(x)$  defined by the equation

$$f(x) = \int_0^x \frac{1}{1+t^2} dt, \quad (1)$$

where  $x$  is a real number. It is well known that this function is increasing and concave down.

2. In the second part, we consider the function  $g(x)$  defined by the equation

$$g(x) = \int_0^x \frac{1}{1+t^4} dt, \quad (2)$$

where  $x$  is a real number. It is well known that this function is increasing and concave down.

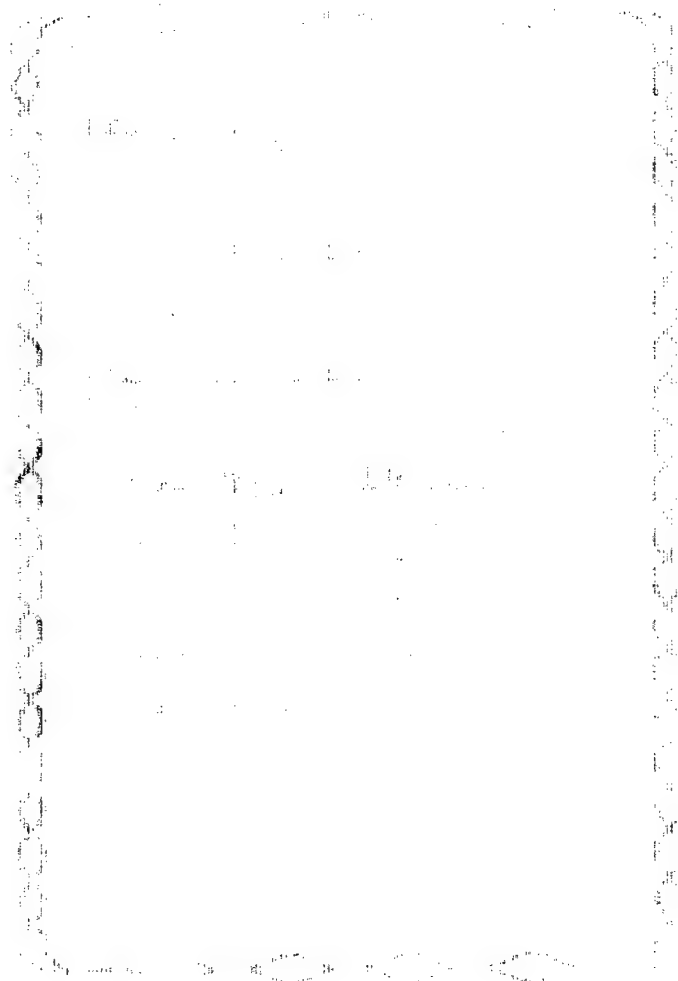


## الفصل الأول

### القلوب في القرآن

وفيه خمسة مباحث:

- |                |                |
|----------------|----------------|
| المبحث الأول:  | المراد بالقلب. |
| المبحث الثاني: | أنواع القلوب.  |
| المبحث الثالث: | مظاهر القلوب.  |
| المبحث الرابع: | أمراض القلوب.  |
| المبحث الخامس: | أدوية القلوب.  |



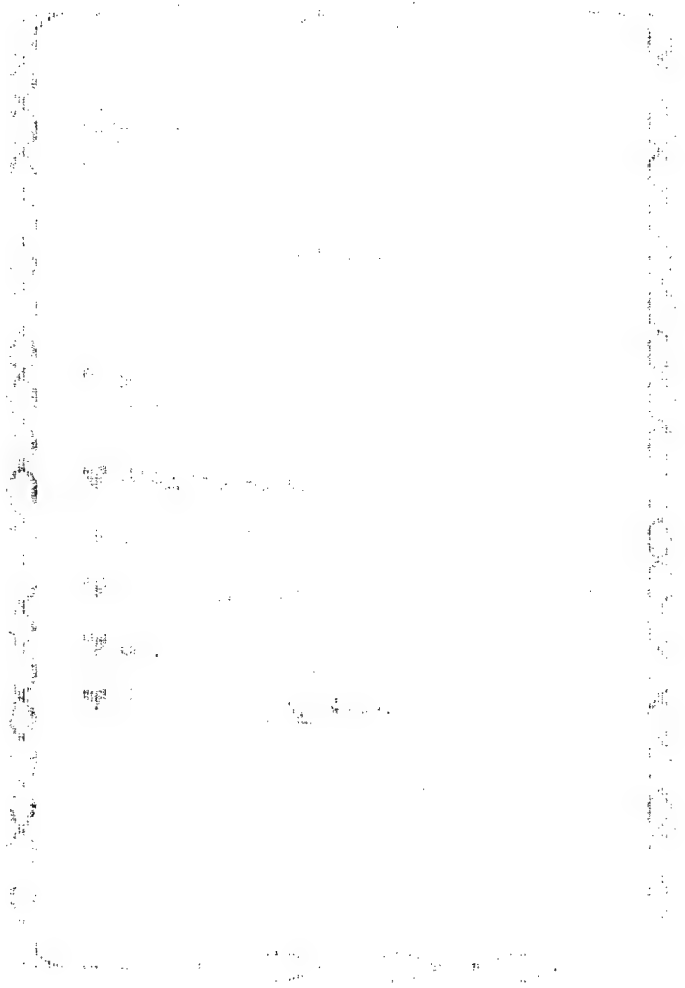
THE  
JOURNAL  
OF  
THE  
ROYAL ANTHROPOLOGICAL INSTITUTE  
OF GREAT BRITAIN AND IRELAND  
VOLUME 14  
PART 1  
1884

## المبحث الأول

المراد بالقلب

وفيه:

- ♥ الأختلاف حوله.
- ♥ دلالة القرآن.
- ♥ دلالة السنة عليه.
- ♥ بعض الأقوال فيه.
- ♥ القول الفصل في ذلك.



## المبحث الأول: المراد بالقلب

هناك آراء عديدة حول المراد من القلب، وهي وإن اختلفت حول ماهية القلب هل هو العضو المادي أو جهاز إدراكي معرفي فإنها لم تختلف حول كونه مكنن المشاعر والأحاسيس وأنه رأس أعضاء الإنسان وموطن الإيمان والكفر.

وما يهمننا فيما نحن بصددده هو المعنى الذي يحدده القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبالرغم من أن الدكتور محمد الشرقاوي قال في بيان مدلول القلب في القرآن «مما تجدر الإشارة إليه أن كلمة قلب بالرغم من أنها قد ذكرت في القرآن الكريم - في حالات الأفراد والتشنية والجمع أكثر من مائة وثلاثين مرة إلا أنه لم يقصد بها مطلقاً الدلالة على القلب بمعناه التشريحي الطبي، ولكن قصد بها التعبير عن جهاز إدراكي معرفي بالغ التعقيد له وظائف متشعبة ومتعددة ومتداخلة إلى حد

بعيد جداً، كما أن له خصائص قد انفرد بها ولم يشاركه فيها أي من الملكات الأخرى<sup>(١)</sup> وركز في تأملاته على وظيفتين من وظائفه هما:

١ - الإدراك والمعرفة والعلم.

٢ - الإيمان وما يتصل به من عاطفة ووجدان

وإرادة<sup>(٢)</sup>.

فإن الأمر على خلاف ما ذكر من الجزم بأنه لم يقصد في القرآن مطلقاً الدلالة على القلب بمعناه التشريحي الطبي، فقد تتبعنا النصوص القرآنية التي وردت فيها لفظة القلب<sup>(٣)</sup> لتحديد مدلول القلب فيها فوجدت نصين يفصلان في هذا الأمر فصلاً بيناً هما قوله

(١) تأملات حول وسائل الإدراك في القرآن الكريم ص ٤٣ - عالم الكتب، الرياض المؤلف.

(٢) المرجع السابق المدرك نفسه.

(٣) بلغت هذه النصوص مائة وستا وعشرين آية في ثلاث وأربعين سورة من كتاب الله، وقد جمعها لي المرحوم محمد عنتار السالك الذي توفاه الله وهو يستعد لبدء دراسته العليا بقسم الأعلام بالكلية بعد أن تخرج منه ولم يفقه رحمه الله منها إلا آيات معدودة.

تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ  
 آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي  
 الصُّدُورِ ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ  
 فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّثَى تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ  
 أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ كُمُ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ  
 يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (٢) فهما ينصان صراحة على أن  
 المراد بالقلب هو هذا العضو المادي الذي مقره الصدر  
 وهو ما نص عليه المفسرون. قال النسفي في تفسير آية  
 الحج «وذكر الصدر لبيان أن محل العلم القلب ولثلا  
 يقال إن القلب يعني به غير هذا العضو كما يقال القلب  
 لب كل شيء» (٣) وقريب من ذلك ما ذهب إليه الرازي  
 في تفسير الآية حيث قال «وعندي فيه وجه آخر وهو أن  
 القلب يجعل كناية عن الخاطر والتدبر كقوله تعالى ﴿ إِنَّ

(١) سورة الحج الآية: ٤٦ .

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٤ .

(٣) تفسير النسفي جـ ٣ ، ص ١٠٥ ، دار الكتاب .

فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ (١).

وعند قوم أن محل التفكير هو الدماغ فالله تعالى يبين أن محل ذلك هو الصدر...

هل تدل الآية على أن العقل هو العلم وعلى أن محل العلم هو القلب؟ الجواب «نعم لأن المقصود من قوله يعقلون بها العلم وقوله يعقلون بها كالدلالة على أن القلب آلة لهذا العقل فوجب جعله محلاً للعقل» (٢).

ومن ذلك يتضح أن المفسرين في الجملة يقفون عند صريح دلالة الآية على معنى القلب وهو أنه العضو المادي الموجود داخل صدر الإنسان وإن تفاوتت عباراتهم في ذلك (٣) أما آية الأحزاب فهي صريحة

---

(١) سورة ق الآية: ٣٧.

(٢) التفسير الكبير، المجلد الثاني عشر ص ٤٥، دار إحياء التراث العربي.

(٣) بآية الحج هذه فسر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ﴾ =



الدلالة على المعنى السابق، فقد قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها «يقول تعالى موطئاً قبل المقصود المعنوي أمراً معروفاً حسياً وهو أنه لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه» (١) وهو ما ذهب إليه كل من الجلالين والشوكاني وإن اختلفا في سبب نزول الآية (٢).

وهذا المعنى الذي دل عليه القرآن الكريم هو الذي جاءت به السنة المطهرة فقد روى البخاري من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل

---

= سبيلاً ورد بها أقوال الفلاسفة بشأن مكان العقل أضواء البيان ج ٧١٥/٥ وج ٥٦٢/٣.

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٤٦٥/٣، دار المعرفة.

(٢) انظر: زبدة التفسير من فتح القدير ص ٥٤٨، وانظر الجلالين ص ٣٥٠، دار الفكر العربي.

ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» (١) .

ولا عبرة بعد هذا بقول، فالذي يرى أن القلب المراد تطبيبه ليس هو العضو المادي «بل كل ما يسمى أحاسيس الإنسان ومشاعره وهواجسه، من حب وبغض وإيثار وحسد، وروحانية وصلافة، وقوة وضعف، وإيمان وكفر، وثبات وقلق، ويقين وشك، ورضى وسخط، ونور وظلمة وما إلى ذلك» (٢) وكذلك من يقول إن القلوب كما وردت في كتاب الله ما هي إلا قلوب الروح، فكما أن القلب النابض في الجسم هو رمز الحياة والموت فإن القلب في الروح هو رمز الإيمان والكفر» (٣)

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب: فضل من استبرأ لدينه.

(٢) د. عجيل جاسم النشمي - طب القلوب ص ١٣.

(٣) السيد / إبراهيم سليم، من خفايا القلوب في القرآن ص ١١٧،

مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

لن يجد بغيته خارج هذا العضو، «فالله جلّ جلاله» جعل هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير والرشاد، وشرّها أوعاها للغيّ والفساد وسلط عليها الهوى وامتحنها بمخالفته<sup>(١)</sup> ولهذا اعتبر صلاح القلوب ولادة جديدة<sup>(٢)</sup> ذلك أن «القلب إنما خلق لأجل حب الله تعالى وهذه هي الفطرة التي فطر الله عليها عباده»<sup>(٣)</sup> ومن هنا لزم الاهتمام به ورعايته والمحافظة على صحته وسلامته، وحمايته عن المؤذي الضار به .

---

(١) د. عجيل جاسم النشمي - طب القلوب ص ٣٢٢ .

(٢) قال ابن قيم الجوزية: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يذكر ذلك ويفسره بأن الولادة نوعان أحدهما هذه المعروفة، والثانية ولادة القلب والروح وخروجهما من مشيمة النفس وظلمة الطبع، قال الولادة لما كانت بسبب الرسول ﷺ كان كالأب للمؤمنين، المرجع السابق ص ٣٤٨ .

(٣) مجموع الفتاوى ج ١٠ / ١٣٤ .

1. The first part of the document discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions and the role of the accounting department in ensuring the integrity of the financial statements.

2. The second part of the document outlines the various methods used to collect and analyze data, including the use of statistical software and the importance of sample size and representativeness.

3. The third part of the document describes the results of the study, including the identification of key trends and the comparison of findings with previous research.

4. The fourth part of the document discusses the implications of the findings for practice and policy, and the need for further research in this area.

5. The fifth part of the document provides a conclusion and a summary of the main points of the study.

6. The sixth part of the document includes a list of references and a list of figures and tables.

7. The seventh part of the document contains a list of appendices and a list of footnotes.

8. The eighth part of the document includes a list of acknowledgments and a list of contact information.

9. The ninth part of the document contains a list of abbreviations and a list of symbols.

10. The tenth part of the document includes a list of definitions and a list of terms.

11. The eleventh part of the document contains a list of references and a list of figures and tables.

12. The twelfth part of the document includes a list of appendices and a list of footnotes.

13. The thirteenth part of the document contains a list of acknowledgments and a list of contact information.

14. The fourteenth part of the document includes a list of abbreviations and a list of symbols.

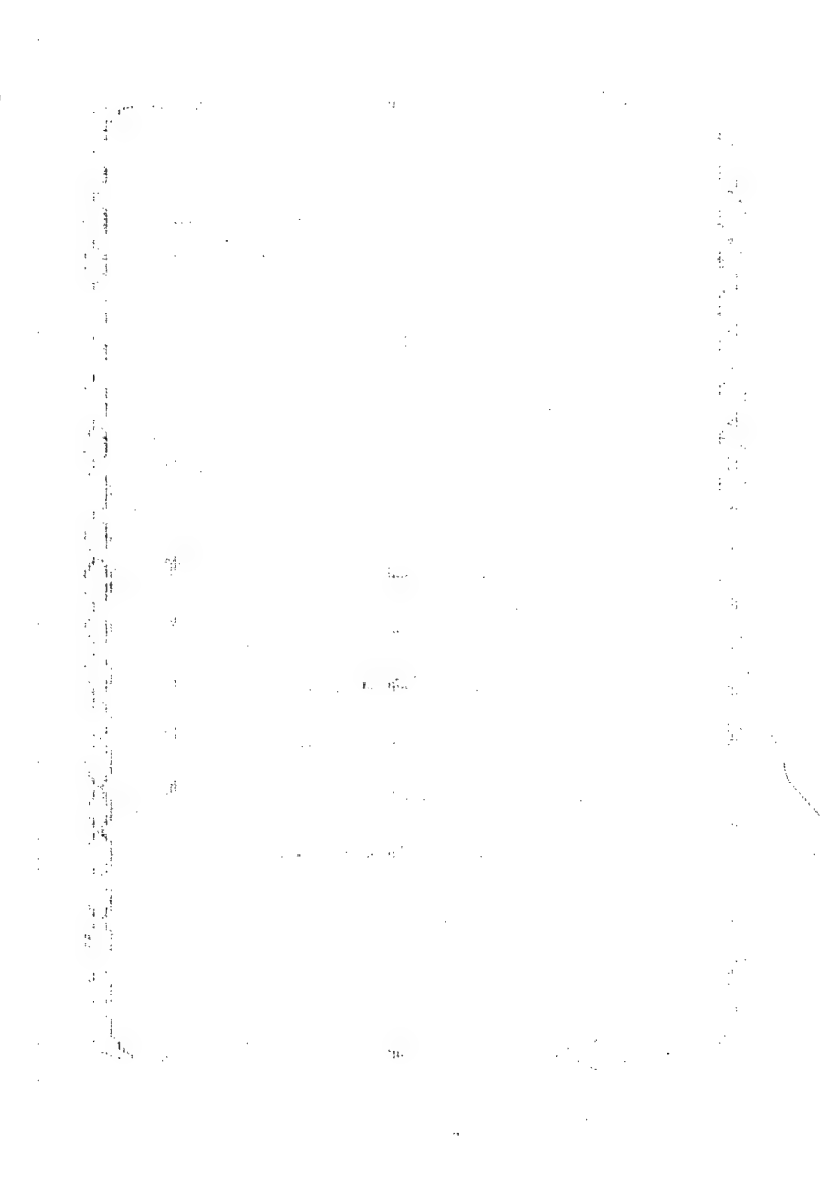
15. The fifteenth part of the document contains a list of definitions and a list of terms.

## المبحث الثاني

### أنواع القلوب

وفيه:

- ♥ أنواع القلوب باعتبار أصحابها.
- ♥ أنواع القلوب باعتبار حالها.
- ♥ أنواع القلوب باعتبار صفاتها.
- ♥ أنواع القلوب باعتبار لونها.
- ♥ أنواع القلوب باعتبار تأثيرها بالحق.
- ♥ أنواع القلوب باعتبار آثارها.



## أولاً: أنواع القلوب باعتبار أصحابها:

لقد تدبرت النصوص القرآنية التي وردت فيها لفظة القلب إفراداً وتثنية وجمعاً فوجدت أن القلوب قد جاءت فيها باعتبار أصحابها على ثلاثة أنواع: قلوب المؤمنين، وقلوب الكافرين، وقلوب المنافقين.

وتتنوع قلوب كل فريق من هؤلاء تبعاً لدرجاتهم في الإيمان ودرجاتهم في الكفر والنفاق<sup>(١)</sup> فمن قلوب المؤمنين قلب الرسول ﷺ ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿٩٧﴾ ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿١٥٩﴾ ﴿إِنْ يَتُحَرَّمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ

(١) اعتمدت في التقسيم المذكور على ثلاثة تفاسير هي تفسير الجلالين وزبدة التفسير من فتح القدير والمنتخب في التفسير.

(٢) سورة البقرة الآية: ٩٧. (٣) سورة آل عمران الآية: ١٥٩.

لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ  
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴿١﴾ ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ  
لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبٍ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴿٢﴾ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ  
أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِأُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَبِئْسَ اللَّهُ الْبَاطِلُ وَيُحِقُّ  
الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ ﴿٣﴾ وهو لا شك  
أطهر القلوب وأزكاها ومنها قلب أبي الأنبياء إبراهيم  
عليه السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ  
أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ  
فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ  
سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴿٤﴾ ﴿ وَإِذْ مِنْ شَيْعِنَهُ  
لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴿٥﴾ وليس بعد شهادة  
الله لهذا القلب الزكي شهادة .

(١) سورة آل عمران الآية : ١٦٠ .

(٢) سورة الشعراء الآيات : ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ .

(٣) سورة الشورى الآية : ٢٤ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٦٠ .

(٥) سورة الصافات الآيتان : ٨٣ ، ٨٤ .



ومنها قلوب الصحابة رضوان الله عليهم  
﴿وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى  
شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ  
تَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ (١) ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ  
بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢٧﴾﴾ (٢) ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ  
عَلَيْكُمْ مِنَ بَعْدِ الْقَمَرِ أَمْنَةً نَّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ  
أَهَمَّتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ  
لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا  
يُبدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ  
كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ  
اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ  
الصُّدُورِ ﴿٥٨﴾﴾ (٣) ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ

(١) سورة آل عمران الآية : ١٠٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٢٦ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٥٤ .

قُلُوبِكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾ ﴿١﴾  
 إِذْ يُخَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً  
 لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ  
 وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٢﴾ وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي  
 الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ  
 إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴿٣﴾ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ  
 عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴿٤﴾ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ  
 لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴿٥﴾ ﴿٥﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي  
 كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَنَخِفَّ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ  
 وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾  
 فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ

(١) سورة الأنفال الآية : ١٠ .

(٢) سورة الأنفال الآية : ١١ .

(٣) سورة الأنفال الآية : ٦٣ .

(٤) سورة التوبة الآية : ١٥ .

(٥) سورة الأحزاب الآية : ٥٣ .

(٦) سورة الحجرات الآيتان : ٧ ، ٨ .

يَغْضُونَ أَسْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ  
لِلنَّفَاقِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ إِنَّ نُوحًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ  
صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ  
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ لَقَدْ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي  
قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ لَقَدْ  
تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي  
سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ  
تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ بِهِمْ رَهَوْفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾ وَإِذْ زَاغَتِ  
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ  
أَبْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴿٥﴾ .

وهذه القلوب من أبر القلوب بعد الأنبياء صلوات

(١) سورة الحجرات الآية : ٣ .

(٢) سورة التحريم الآية : ٤ .

(٣) سورة الفتح الآية : ١٨ .

(٤) سورة التوبة الآية : ١١٧ .

(٥) سورة الأحزاب الآية : ١٠ ، ١١ .

الله وسلامه عليهم وأكثرها زكاة وطهارة وسلامة ومنها  
قلوب خاصة المؤمنين ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ  
مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٧) رَبَّنَا لَا تُغِثْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ  
هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ (١) وَالَّذِينَ  
يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي  
الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿١١﴾ (٢) وَبَشِّرِ الْمُخْسِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا  
ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ  
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ (٣) هَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ  
مُّنِيبٍ ﴿٣٦﴾ (٤) . وهي قلوب كما ترى حية تدفع أصحابها  
إلى الحركة والإيجابية ومنها قلوب المؤمنين الصادقين  
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ  
ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ

(١) سورة آل عمران الآيتان: ٧ ، ٨ .

(٢) سورة المؤمنون الآيتان: ٦٠ ، ٦١ .

(٣) سورة الحج الآيتان: ٣٤ ، ٣٥ .

(٤) سورة ق الآية: ٣٣ .

دَرَجَاتٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ (١) الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ  
 الْقُلُوبُ ۝ (٢) وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ  
 رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ (٣) ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ  
 بِالْإِيمَانِ﴾ (٤) ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٥) . اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ  
 الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ نَقْشُورُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ  
 ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ  
 يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝ (٦) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ  
 السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ (٧) ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ

(١) سورة الأنفال الآيات : ٢ - ٤ .

(٢) سورة الرعد الآية : ٢٨ .

(٣) سورة الحج الآية : ٥٤ .

(٤) سورة النحل الآية : ١٠٦ .

(٥) سورة الشعراء الآية : ٨٩ .

(٦) سورة الزمر الآية : ٢٣ .

(٧) سورة الفتح الآية : ٤ .

ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ  
أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ  
فَنَسِيتُوا ۚ (١) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ  
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ  
وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ  
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ (٢) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ  
يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا  
تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۚ (٣)  
وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۚ (٤) وَأَطِيعُوا اللَّهَ  
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ  
الْمُبِينُ ۚ (٥) ومنها قلوب المسلمين الذين لم يدخل

(١) سورة الحديد الآية: ١٦ .

(٢) سورة المجادلة الآية: ٢٢ .

(٣) سورة الحشر الآية: ١٠ .

(٤) سورة التغابن الآية: ١١ .

الْإِيمَانِ إِلَى قُلُوبِهِمْ بَعْدَ ﴿١٠﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ (١) ،  
 وَمِنْهَا قُلُوبُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٢﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٣﴾ (٢) .  
 وَمِنْهَا قُلُوبُ حَوَارِيِّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقَتْنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٤﴾ (٣) ، وَقُلُوبُ أَتْبَاعِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا

(١) سورة الحجرات الآية : ١٤ .

(٢) سورة الكهف الآيتان : ١٣ ، ١٤ .

(٣) سورة المائدة الآية : ١١٣ .

تَمْشُونَ بِهِ، وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ (١) ومنها قلب أم موسى وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَغُرّاً إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ (٢) ومنها قلوب الملائكة حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ (٣) وحسب هذه القلوب فخراً أنها كانت عدة أصحابها في تحقيق طاعة الله ونيل مرضاته بما جعل فيها من صلاح وزكاة وطهارة وفي ذلك ما فيه من تمييز لها عن قلوب الكافرين التي أودت بأصحابها إلى النار أعاذنا الله منها.

وكما تعددت قلوب المؤمنين وفقاً لدرجاتهم في الإيمان فإن الكفر درجات مما يترتب عليه تنوع قلوب

(١) سورة الحديد الآية: ٢٧.

(٢) سورة القصص الآية: ١٠.

(٣) سورة سبأ الآية: ٢٣.



الكافرين يوم بعث ﷺ ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ  
 ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى  
 سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ قُلْ  
 أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ  
 يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نَصْرِيْ أَتَىٰ تَنَصَّرُفُ الْآلِيتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤﴾ ﴿٢﴾  
 ﴿٣﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ  
 وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى  
 الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ  
 بَنَانٍ ﴿٦﴾ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ  
 يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ  
 غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا

(١) سورة البقرة الآيةان : ٦ ، ٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ٤٦ .

(٣) سورة الأنعام الآية : ٢٥ .

(٤) سورة الأنفال الآية : ١٢ . (٥) سورة الأنفال الآية : ٧٠ .

يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ  
وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴿١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا  
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴿٢﴾ وَجَعَلْنَا  
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ  
وَاحِدَهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَذْنَبِهِمْ تَفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴿٣﴾ وَلَا تَطْعَمَنْ أَغْفَلًا قَلْبُهُ عَنْ  
ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ  
رَبَّكَ رِيبًا فَاعْرَضَ عَنْهَا وَنَسَىٰ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ  
أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿٥﴾ ﴿٥﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ  
الْعَجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ  
السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٢﴾ ﴿٦﴾

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا

(١) سورة التوبة الآية : ٨ .

(٢) سورة النحل الآية : ٢٢ .

(٣) سورة الإسراء الآية : ٤٦ .

(٤) سورة الكهف الآية : ٢٨ .

(٥) سورة الكهف الآية : ٥٧ .

(٦) سورة الأنبياء الآية : ٣ .

عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴿١﴾ ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ ﴿٢﴾ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ يَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ ﴿٣﴾ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ ﴿٤﴾ ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيْءِ ءَاذَانِنَا وَقَدْ وُقِّرُ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ ﴿٥﴾ .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٦٢﴾﴾ ﴿٦﴾ ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ

(١) سورة المؤمنون الآية : ٦٣ .

(٢) سورة الحج الآية : ٥٣ .

(٣) سورة الروم الآيتان : ٥٨ ، ٥٩ .

(٤) سورة الزمر الآية : ٤٥ .

(٥) سورة فصلت الآية : ٥ .

(٦) سورة محمد الآية : ١٦ .

حِمَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ النَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ  
شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ (١). ومنهم عامة الكافرين ﴿٢٧﴾ أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ  
صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ  
اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٨﴾ (٢) ﴿٢٩﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ  
وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن  
يَهْدِيهِ مِّن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ (٣) ﴿٣١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ  
عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٣٢﴾ (٤)، ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ  
الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴿٣٤﴾ (٥)  
وَمِنْهُمْ الْمُرْتَدُونَ ﴿٣٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ  
وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ ﴿٣٦﴾ (٦)،  
وَمِنْهُمْ فِرْعَوْنُ وَمَلُوهُ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ

(١) سورة الفتح الآية: ٢٦.

(٢) سورة الزمر الآية: ٢٢.

(٣) سورة الجاثية الآية: ٢٣.

(٤) سورة محمد الآية: ٢٤.

(٥) سورة الأعراف الآية: ١٧٩. (٦) سورة النحل الآية: ١٠٨.

وَمَلَأُوا زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا  
 اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ  
 الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ (١) ، ومنهم الفجار ﴿٨٩﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا  
 يَكْسِبُونَ ﴿٩٠﴾ (٢) ، ومنهم المجرمون ﴿٩١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُمْ فِي  
 قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٩٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿٩٣﴾ (٣)  
 ﴿٩٤﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٩٥﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا  
 الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٦﴾ (٤) . ومنهم كفار الأمم السابقة ﴿٩٧﴾ قَالَ  
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ  
 لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٩٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ  
 عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿٩٩﴾ (٥) ﴿١٠٠﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا  
 وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ ﴿١٠١﴾ (٦)

(١) سورة يونس الآية : ٨٨ .

(٢) سورة المطففين الآية : ١٤ .

(٣) سورة الحجر الآيتان : ١٢ ، ١٣ .

(٤) سورة الشعراء الآيتان : ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٥) سورة البقرة الآيتان : ١١٨ ، ١١٩ .

(٦) سورة الأنعام الآية : ٤٣ .

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (١) تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ ﴿ (٢) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٣) ﴿ (٤) وَمِنْهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءً يَسِيلُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٥) ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٦) ﴿ (٧) قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٨) قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٩) ﴿ (١٠)

(١) سورة الأعراف الآية: ١٠٠ ، ١٠١ .

(٤) سورة البقرة الآية: ٨٨ .

(٢) سورة يونس الآية: ٧٤ .

(٥) سورة البقرة الآية: ٩٣ .

(٣) سورة البقرة الآية: ٧٤ .

﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ فِيمَا  
نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْيسَةً يِخْرَفُونَ  
الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ  
الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ  
وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ  
سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ . . . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ  
يُطَهِّر قُلُوبَهُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
مِنْ صِيَاصِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ  
فَرِيقًا ﴿ ٢٦ ﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ  
وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمْ  
الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿ ١٦ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، ﴿ لَا  
يُقَنِّلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ  
بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا  
يَعْقِلُونَ ﴿ ١٤ ﴾ <sup>(٦)</sup>

- (١) سورة النساء الآية: ١٥٥ . (٤) سورة الأحزاب الآية: ٢٦ .  
(٢) سورة المائدة الآية: ١٣ . (٥) سورة الحديد الآية: ١٦ .  
(٣) سورة المائدة الآية: ٤١ . (٦) سورة الحشر الآية: ١٤ .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تَقُودُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾<sup>(١)</sup>، ومنهم المتكبرون الجبارون ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٢٥﴾﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٢٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>، ومنهم المؤلفه قلوبهم ﴿﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُعْمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ ﴾﴾<sup>(٣)</sup>، وأصحاب هذه القلوب على تعدد أصنافهم يشتركون في أنهم موتى القلوب كما أخبر الله عنهم ﴿﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾﴾<sup>(٤)</sup> ويكفي هذه القلوب سوءاً أنها أدخلت من مات من أصحابها على الكفر النار التي يحتل المنافقون الدرك الأسفل منها عياداً بالله.

وكما تفاوتت دركات الكفر تفاوتت دركات النفاق، وكان المنافقون ولا يزالون وسيظلون أحقر الأصناف البشرية

(١) سورة الصف الآية: ٥. (٣) سورة التوبة الآية: ٦٠.

(٢) سورة غافر الآية: ٣٥. (٤) سورة الأنعام الآية: ٣٦.



وأخطرها تأثيراً في حياة المجتمعات الإسلامية، ومن العجب أننا نأمن على أنفسنا من النفاق في حين كان كثير من الصحابة الأجلاء يخشون على أنفسهم منه<sup>(١)</sup>.

وقد فضح الله المنافقين في عهده ﷺ وكشف دخيلة نفوسهم بما عرض في الكتاب الكريم من خفايا قلوبهم وخصائصها ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١٥٦) ﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنُتَلَّوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ آدِفُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ

(١) قال الإمام البخاري في صحيحه باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر. قال إبراهيم التيمي: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً. وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل، وذكر عن الحسن ما خافه إلا مؤمن ولا آمنه إلا منافق (كتاب الإيمان).

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٥٦.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴿١﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ  
ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ . . . إِلَى قَوْلِهِ جَل  
جَلالَهُ : أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ  
وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١٧٨﴾ ﴿٢﴾  
﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ  
الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ ﴿٣﴾ ﴿فَتَرَى الَّذِينَ  
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ  
أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ  
تَلَدِمِينَ ﴿١٧٩﴾ ﴿٤﴾ ﴿إِذْ يَكُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ  
مَرَضٌ عَرَ هَؤُلَاءَ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ ﴿١٨٠﴾ ﴿٥﴾ ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ

(١) سورة آل عمران الآية : ١٦٧ .

(٢) سورة النساء الآيات : ٦٠ - ٦٣ .

(٣) سورة المائدة الآية : ٤١ .

(٤) سورة المائدة الآية : ٥٢ .

(٥) سورة الأنفال الآية : ٤٩ .

يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴿١﴾ ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ  
سُورَةٌ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِنِّي أَخْرِجُ مَا  
تَحْذَرُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٢﴾ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ  
فَضْلٍ لَنُصَدِّقَنَّهُ وَلَنَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ . . . إِلَى قَوْلِهِ جَلَّ  
جَلَالُهُ : فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا  
وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٣﴾ ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ  
ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعِذْكَ أُولَئِ الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا  
ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ ﴿٨١﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى  
قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٤﴾ ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ  
يَسْتَعِذُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ  
اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٥﴾ ﴿لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمْ الَّذِي  
بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
حَكِيمٌ﴾ ﴿١١٠﴾ ﴿٦﴾ ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ

(١) سورة التوبة الآية : ٤٥ . (٢) سورة التوبة الآية : ٦٤ .

(٣) سورة التوبة الآيات : ٧٥ - ٧٧ .

(٤) سورة التوبة الآيتان : ٨٦ ، ٨٧ .

(٥) سورة التوبة الآية : ٩٣ . (٦) سورة التوبة الآية : ١١٠ .

زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا . . إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : صَرَفَ اللَّهُ  
قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴿١﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ  
وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فِزْيَا فِتْنَتُهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ . . إِلَى قَوْلِهِ  
تَعَالَى : بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴿٢﴾ ، وَلَئِنْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ  
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴿٣﴾ ،  
﴿ لَنْ نَبْنِيَهُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ  
فِي الْمَدِينَةِ لَنُفَرِّقَنَّ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا  
قَلِيلًا ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا  
لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا  
أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴿٥﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوَلَّى سَوْرَةٌ فَإِذَا  
أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ  
مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ  
لَهُمْ ﴿٢٠﴾ . . إِلَى قَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ : وَاللَّهُ يَخْلَعُ

(١) سورة التوبة الآيات : ١٢٤ - ١٢٧ .

(٢) سورة النور الآيات : ٤٧ - ٥٠ . (٤) سورة الأحزاب الآية : ٦٠ .

(٣) سورة الأحزاب الآية : ١٢ . (٥) سورة محمد الآية : ١٦ .

أَعْمَلَكُمْ ﴿٢٠﴾ ﴿١﴾ ، ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا . . إلى قوله سبحانه وتعالى : وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ .

فتبين من النصوص السابقة أن المنافقين في عهده ﷺ كانوا أصنافاً كثيرة، ومن أصناف المنافقين الوارد ذكرها في القرآن الكريم عموم المنافقين ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٨﴾ . . إلى قوله تعالى : وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ءَهُوَ الَّذِي الْخَصَامُ ﴾ ﴿٢٠﴾ . . إلى قوله جلّ جلاله : فَحَسِبُوا جَهَنَّمَ وَلَيْسَ إِلَهُكُمُ الْإِلَٰهَ ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا

(١) سورة محمد الآيات : ٢٠ - ٣٠ .

(٢) سورة الفتح الآيتان : ١١ ، ١٢ .

(٣) سورة المنافقون الآية : ٣ .

(٤) سورة البقرة الآيات : ٨ - ١٠ .

(٥) سورة البقرة الآيات : ٢٠٤ - ٢٠٦ .

إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ... إلى قوله سبحانه وتعالى :  
 لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ  
 قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٧﴾ (١) ﴿ وَمَا جَعَلْنَا  
 أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً... إلى قوله جلّ جلاله : وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ  
 إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ (٢) ، ومن ذلك ندرك أن  
 الصفة الجامعة لهذه القلوب هي مرض الشك والريب في  
 الحق عياداً بالله وهي علة تؤدي إلى فساد العلم والقصد .

(١) سورة الحج الآيتان : ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) سورة المدثر الآية : ٣١ .

## ثانياً: أنواع القلوب باعتبار حالها

لقد ظهر من خلال تدبر النصوص القرآنية التي سيقّت من قبل بشأن أنواع القلوب باعتبار أصحابها أن القلوب تنقسم باعتبار حالها إلى ثلاثة أقسام هي القلب السليم أو القلب الحي وهو قلب المؤمن، ويقابله القلب الميت وهو قلب الكافر والقلب المريض وهو قلب المنافق وهو قلب مريض بالشبهة ويلحق به القلب المريض بالشهوة، ومن هنا صح لابن القيم رحمه الله أن يقول: «لما كان القلب يوصف بالحياة وضدها انقسم بحسب ذلك إلى هذه الأحوال الثلاثة: فالقلب الصحيح هو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى به كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> والسليم هو السالم. وجاء على هذا المثل لأنه للصفات كالطويل والقصير والظريف فالسليم القلب الذي قد صارت السلامة صفة ثابتة له كالعليم والتقدير

---

(١) سورة الشعراء الآيتان: ٨٨، ٨٩.

وأيضاً فإنه ضد المريض والسقيم والعليل، وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم. والأمر الجامع لذلك أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله فسلم من محبة غير الله معه، ومن خوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه والذل له وإيثار مرضاته في كل حال والتباعد عن سخطه بكل طريق، وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله سبحانه وتعالى وحده.

فالقلب السليم هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله: «إرادة ومحبة وتوكلاً وإنابة وإخباتاً وخشية ورجاءً أخلص عمله لله، فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسول الله ﷺ» (١).

---

(١) إغائة اللهفان من مصايد الشيطان ج ١ ص ١١، ١٢، طبع المكتب الإسلامي - بيروت ومكتبة الخاني الرياض، بتحقيق محمد عفيفي.



وهذا الذي قاله رحمه الله زُبدة ما يمكن استخلاصه من النصوص التي سيقَت من قبل في معرض الحديث عن قلوب المؤمنين.

«والقلب الثاني ضد هذا وهو القلب الميت الذي لا حياة به فهو لا يعرف ربه ولا يعبد به بأمره وما يحبه ويرضاه بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه، وغضبه فهو لا يبالي إذا فاز بشهواته وحظه رضي به أم سخط فهو متعبد لغير الله، حباً، وخوفاً ورضاً، وسخطاً، وتعظيماً، وذلاً. إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فهو آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه، والهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائسه، والغفلة مركبه. فمخالطة صاحب هذا القلب سقم ومعاشرته سم، ومجالسته هلاك»<sup>(١)</sup>.

ولعمرو الله إن ما قاله رحمه الله هو زُبدة ما يمكن استخلاصه من النصوص السابقة بشأن قلوب الكافرين، بل

---

(١) المرجع السابق ص ١٣.

صريح نص القرآن ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾<sup>(١)</sup>.

«والقلب الثالث قلب له حياة وبه علة، فله مادتان، تمده هذه مرة وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما»<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فالقلوب بالنسبة لحالها ثلاثة قلوب حي مجيب لين داع هو قلب المؤمن، والثاني قلب ميت يابس هو قلب الكافر، والثالث مريض هو قلب المنافق وصاحب الهوى، وقد جمع الله هذه الأصناف الثلاثة في قوله جل جلاله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط

---

(١) سورة محمد الآية: ١٢.

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ص ١٤.

«فالمفتونان القلب الذي فيه مرض والقلب القاسي والناجي القلب المؤمن المخبت إلى ربه وهو المطمئن إليه الخاضع له المستسلم المنقاد، وذلك أن القلب وغيره من الأعضاء يراد منه أن يكون صحيحاً سليماً لا آفة به، يتأتى منه ما هيء له وخلق لأجله، وخروجه عن الاستقامة إما ييسره أو قساوته وعدم التأتي لما يراد منه» (٢).

وهذه القسمة الثلاثية باعتبار أصل كل نوع من حيث الحياة والموت والمرض، إلا أن القلب المريض ليس على حال واحدة، ومن هنا كانت فالقلوب باعتبار حالها أربعة كما أخبر الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجة فيه

(١) سورة الحج الآيات: ٥٢ - ٥٣ - ٥٤.

(٢) ابن قيم الجوزية - إغائة اللفهان ج ١ ص ١٤، ١٥.

نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القيح والدم، فأبي المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه»<sup>(١)</sup>.

ومع أن القسمة النبوية رباعية كاشفة عن حقيقة أحوال القلوب فإن الزيادة فيها تفصيل في النوع الثالث وهو القلب المريض، والسنة كما هو معلوم مبينة للقرآن الكريم ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾<sup>(٢)</sup>.

وانقسام القلوب إلى حي وميت ومريض ليس استخلاصاً واستنتاجاً من النصوص القرآنية السابقة فحسب، بل هو صريح القرآن الكريم ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون﴾<sup>(٣)</sup>. ﴿أو من كان ميتاً

---

(١) المسند ج ٣ ص ١٧، وفيه ليث بن أبي سليم وهو مسيء الحفظ وقد اختلط.

(٢) سورة النحل الآية: ٤٤.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٣٦.

فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في  
الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا  
يعملون»<sup>(١)</sup>. ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾<sup>(٢)</sup>  
بعد الحديث عن موت قلوب أهل الكتاب أي كذلك يحيي  
الله القلوب ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾<sup>(٣)</sup>.

«وأعلم أن حياة القلب وحياة غيره ليست مجرد الحس  
والحركة والإرادة أو مجرد العلم والقدرة كما يظن ذلك طائفة  
من النظّار في علم الله وقدرته كأبي الحسن البصري.

قالوا إن حياته أنه بحيث يعلم ويقدر. بل الحياة صفة  
قائمة بالموصوف، وهو شرط في العلم والإرادة والقدرة على  
الأفعال الاختيارية. والحياء مشتق من الحياة، فإن القلب  
الحي يكون صاحبه حياً، فيه حياء يمنعه من القبائح التي تفسد  
القلب. ولهذا قال النبي ﷺ: «الحياء من الإيمان» وقال

(١) سورة الأنعام الآية: ١٢٢.

(٢) سورة الحديد الآية: ١٧.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٠.

الحياء والعبي شعبتان من الإيمان والبداء والبيان شعبتان من النفاق. فإن الحي يدفع ما يؤذيه بخلاف الميت الذي لا حياة فيه فإنه يُسمى وقحاً والوقاحة الصلابة وهي اليبس المخالف لرطوبة الحياة، فإذا كان وقحاً يابساً صليب الوجه لم يكن في قلبه حياة توجب حيائه وامتناعه عن القبائح»<sup>(١)</sup>. وانقسام القلوب إلى قلوب حية وقلوب ميتة وأخرى مريضة لا يعني ثبات كل نوع على وصفه: «بل إن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء»<sup>(٢)</sup> ولذلك كثر في دعائه ﷺ قوله: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»<sup>(٣)</sup>. فقد يموت القلب الحي وقد يحيا القلب الميت وقد يصح القلب المريض.

الحديث عن حياة القلب وموته ومرضه ليس المقصود

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية - الفتاوى ج ١٠ ص ١٠٩ تصوير الطبعة الأولى عام ١٣٩٨ هـ.

(٢) رواه مسلم بلفظ: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف شاء» صحيح مسلم كتاب القدر.

(٣) أخرجه الترمذي وصححه الألباني - صحيح الجامع الصغير (٧٨٦٤).

منه الجانب الحسي ، وإنما الحياة المعنوية والموت المعنوي والمرض المعنوي كذلك . وهو في الحقيقة ما عليه المدار فكم من صاحب قلب سليم حسيّاً أشد قسوة من الذي قد مات قلبه حسيّاً ، وكم من صاحب قلب مريض حسيّاً وهو أشد ما يكون صحة وسلامة معنوياً<sup>(١)</sup> وكم من صاحب قلب حي حياة معنوية مات حسيّاً فكانت حياة قلبه المعنوية سبباً في حياة أبدية سعيدة ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾<sup>(٢)</sup> .

ومن أسباب حياة القلوب الإقبال على الله وتعظيمه وتدبر الوحي بشقيه القرآن والسنة والشوق إلى الله ، والإنابة

---

(١) وهذا أمر مشاهد فقد كنت في غرفة الإنعاش بعد إجراء عملية جراحة للقلب أواخر شهر شعبان عام ١٤١١ هـ وأنا في غاية الغبطة والسرور بنعمة الإيمان التي من الله عليّ بها وحرّم منها من كان يقوم على خدمتي في تلك الغرفة وكنت أشعر بكمال حياتي وأنا على تلك الحالة من المرض وموتهم وهم على تلك الحال من الحياة الحسية .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٦٩ .

إليه، والندم على المعاصي، والحذر من الوقوع فيها، ومخالفة هوى النفس والاستعداد للآخرة وصحبة الصالحين.

ومن أسباب موت القلوب الغفلة عن الله، وإيثار محبوب سوى الله، وترك اغتذاء بنافع وترك الدواء الشافي (الوحي وذكر الله) وكثرة الضحك. وأما حقيقة مرض القلب فهي فقدان الإخلاص لله والحب له وجامع أمراض القلوب اتباع الهوى<sup>(١)</sup>. نسأل الله أن يحيي قلوبنا بنور معرفته وذكره وشكره، فحياة القلب وإشراقه مادة كل خير وموته وظلمته مادة كل شر<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: إغاثة اللفهان ج ١ ص ١١ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق ص ٣١.



### ثالثاً: أنواع القلوب باعتبار صفاتها

هناك علاقة وثقى بين حالة القلب وصفاته، فحياة القلب تضيء عليه من الصفات ما يناسب الحياة، وموت القلب يكسبه صفات تناسب الموت. وكذا مرض القلب يجعل له من الصفات ما ليس للقلب السليم ولا للقلب الميت.

وهذا أمر يكاد يكون من المسلّمات، ولكن لا مانع مع ذلك من إقامة الدليل عليه من خلال استنطاق النصوص القرآنية التي سيقّت في معرض بيان أصحاب القلوب باعتبار الإيمان والكفر والنفاق. لنرى أهم الصفات التي تحدّد في مجملها نوع القلب وحالته ليكون المرء على بينة من أمره عند عرض قلبه عليها فيحافظ على قلبه إن كان سليماً ويبحث له عن دواء إن كان سقيماً، ويسعى لإعادة الحياة إليه إن كان قد مات عياداً بالله، وليس المراد هنا حصر الصفات، وإنما بيان نوع القلب من خلال ما يتصف به.

وأجمع صفات قلوب المؤمنين وهي القلوب الحية هي  
صفة السلامة<sup>(١)</sup> ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ  
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ﴿وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ  
سَلِيمٍ﴾.

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قوله سبحانه  
وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: سالم من الدنس  
والشرك. قال ابن سيرين: القلب السليم يعلم أن الله حق  
وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.  
وقال ابن عباس: القلب السليم يشهد أن لا إله إلا الله. وقال  
مجاهد والحسن وغيرهما: سليم من الشرك وقال سعيد بن  
المسيب: القلب السليم هو القلب الصحيح وهو قلب  
المؤمن. وقال أبو عثمان النيسابوري: هو القلب السالم من  
البدعة المطمئن إلى السنة<sup>(٢)</sup>.

ولها مع ذلك صفات كثيرة أخرى جميلة فهي قلوب  
مطمئنة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ

(١) النصوص القرآنية المستشهد بها على تحديد الصفات في معظمها  
مما سبق إيراده من قبل إلا في القليل النادر حيث يشار إلى موقعه.

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٣٩.

تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴿١﴾ ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبْدِي ﴿٢٩﴾ ﴿٢﴾ ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ﴿٣﴾ وهي قلوب متآلفة ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ ﴿٤﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٦﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴿٥﴾ وهي قلوب وجلة خائفة من الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٧﴾ ﴿وَنَشَرِ الْمُخْحِتِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُم وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٨﴾ وهي قلوب منيعة ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٩﴾ وهي كذلك قلوب محبته

(١) سورة الرعد الآية: ٢٨ . (٦) سورة الأنفال الآية: ٢ .

(٢) سورة الفجر الآيات: ٢٧ - ٢٩ . (٧) سورة المؤمنون الآية: ٦٠ .

(٣) سورة النحل الآية: ١٠٦ . (٨) سورة الحج الآيتان: ٣٤ ، ٣٥ .

(٤) سورة آل عمران الآية: ١٠٣ . (٩) سورة ق الآية: ٣٣ .

(٥) سورة الأنفال الآيتان: ٦٢ ، ٦٣ .

﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ  
فَتُخَيِّتَ لَهُمْ قُلُوبَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> وهي قلوب طاهرة ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ  
وَقُلُوبِهِمْ وَمَا﴾<sup>(٢)</sup> ومن مفهوم المخالفة في قوله جل جلاله  
﴿الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> وهي قلوب قد  
امتحنن للتقوى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾<sup>(٤)</sup>  
وهي قلوب مهتدية ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾<sup>(٥)</sup> وهي قلوب  
قد عمرت بالإيمان وزين لها فجلب ذلك لأصحابها السكينة  
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَنَ وَزَيْنُكُمْ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ  
وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ  
يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٧)</sup>  
﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَنَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾<sup>(٨)</sup>  
وهي قلوب ثابتة رابطة الجأش غير زائغة ﴿وَلَيَرْبِطَ عَلَى

- 
- (١) سورة الحج الآية: ٥٤ . (٥) سورة التغابن الآية: ١١ .  
(٢) سورة الأحزاب الآية: ٥٣ . (٦) سورة الأنفال الآية: ١١ .  
(٣) سورة المائدة الآية: ٤١ . (٧) سورة الفتح الآية: ١٨ .  
(٤) سورة الحجرات الآية: ٣ . (٨) سورة المجادلة الآية: ٢٢ .

قُلُوبِكُمْ وَبَيَّتَ بِهٖ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴿١﴾ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ  
 هَدَيْتَنَا﴾ ﴿٢﴾ وهي قلوب خاشعة ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ  
 تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ ﴿٣﴾ وهي قلوب خالية  
 من الغل والحسد ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ﴿٤﴾  
 وهي قلوب لينة ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ  
 تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ  
 إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ﴿٥﴾ وهي قلوب رؤوفة رحيمة ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ  
 الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ ﴿٦﴾ .

وكل صفة من صفات قلوب المؤمنين السابقة هي في  
 حقيقة الأمر فرع عن الصفة الأساسية صفة السلامة، وهي  
 تعني أن العبد قد سلم لله ولأمره فلم تبق فيه منازعة لأمره ولا

(١) سورة الأنفال الآية: ١١ .

(٢) سورة آل عمران الآية: ٨ .

(٣) سورة الحديد الآية: ١٦ .

(٤) سورة الحشر الآية: ١٠ .

(٥) سورة الزمر الآية: ٢٣ .

(٦) سورة الحديد الآية: ٢٧ .

معارضة لخبره، فهو سليم مما سوى الله وأمره لا يريد إلا الله ولا يفعل إلا ما أمره الله، فالله وحد غايته، وأمره وشريعته، وسبيله<sup>(١)</sup>.

فكما أن السموات والأرض لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فكذلك قلوب العباد لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدت<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا أمكن أن نقول إن قلوب المؤمنين بصفاتها السابقة قد جمعت بين الرغبة فيما عند الله والرغبة مما عنده، ومن ثم فهي مقبلة على الله عامرة بحبه جلّ جلاله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُمَّ لِلنَّفْوَىٰ﴾<sup>(٣)</sup> وهي مع ذلك ليست على درجة واحدة في هذا الإقبال والحب مما يوجب على كل مسلم السعي للوصول بقلبه إلى أعلى درجات السلامة حتى تزكو أعماله وتستقيم حياته، فالصلاة وهي عماد الدين مثلاً يتفاوت

(١) انظر: مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ج ١ ص ٥٠.

(٢) د. أحمد فريد - التزكية بين أهل السنة والصوفية ص ١٥، مكتبة رياض الجنة، القاهرة.

(٣) سورة الحجرات الآية: ٣.

حظ المصلين فيها تبعاً لتفاوت قلوبهم . يقول ابن قيم  
 الجوزية . . : « وليس حظ القلب العامر بمحبة الله وخشيته  
 والرغبة فيه وإجلاله وتعظيمه من الصلاة كحظ القلب الخالي  
 الخراب من ذلك ، فإذا وقف الاثنان بين يدي الله في الصلاة  
 وقف هذا بقلب مخبت خاشع له قريب منه سليم من معارضات  
 السوء قد امتلأت أرجاؤه بالهيبة وسطع فيه نور الإيمان ،  
 وكشف عنه حجاب النفس ودخان الشهوات ، فيرتع في رياض  
 معاني القرآن ، وخالط قلبه بشاشة الإيمان بحقائق الأسماء  
 والصفات وعلوها وجمالها وكمالها الأعظم ، وتفرد الرب  
 سبحانه بثبوت جلاله وصفاته كماله ، فاجتمع همه على الله ،  
 وقرت عينه به وأحس بقربه من الله قريباً لا نظير له ، ففزع قلبه له ،  
 وأقبل عليه بكليته ، وهذا الإقبال منه بين إقبالين من ربه ، فإنه  
 سبحانه أقبل عليه أولاً فانجذب قلبه إليه بإقباله ، فلما أقبل على  
 ربه حظي منه بإقبال آخر أتم من الأول . . » <sup>(١)</sup> نسأل الله الكريم  
 من فضله .

---

(١) كتاب الصلاة وحكم تاركها - بتحقيق تيسير زعتر ص ١٧١ ،  
 المكتب الإسلامي .

وكما تعددت صفات قلوب المؤمنين وتنوعت في  
الحسن والصلاح تعددت صفات قلوب الكافرين في القبح  
والفساد فهي قلوب قد ختم عليها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ  
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ  
وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ (٢)  
وهي قلوب عليها أكنة ومنهم من يستمع إليك ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى  
قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ (٣) وهي قلوب مليئة بالرعب شديدة  
القلق والاضطراب ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
الرُّعْبَ ﴾ (٤) وهي قلوب خالية من الخير ﴿ يَأْتِيهَا النَّفْثُ كُلُّ لِمَنْ  
فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا  
مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ ﴾ (٥) وهي قلوب مليئة بالكراهية  
للمؤمنين ﴿ يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ ﴾ (٦) وهي قلوب

(١) سورة البقرة الآيتان: ٦ ، ٧ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ٤٦ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٥١ .

(٤) وذلك لخلوها من الإيمان باعتباره جماع الخير .

(٥) سورة الأنفال الآية : ٧٠ . (٦) سورة التوبة الآية : ٨ .



منكـرة ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ

مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ (١) وهي قلوب غافلة عن الله سبحانه وتعالى

﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي

غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴿٣﴾ وَهِيَ قُلُوبٌ لَا هِيَ ﴿٤﴾ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ

وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ

إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ

ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ﴿٤﴾ وَهِيَ قُلُوبُ

قَاسِيَةً ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ

وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿٦﴾

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٧) ﴿ ثُمَّ

قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴿٨﴾ وهي

(١) سورة النحل الآية: ٢٢.

(٥) سورة الحج الآية : ٥٣ .

(٢) سورة الكهف الآية: ٢٨.

(٦) سورة الزمر الآية: ٢٢.

(٣) سورة المؤمنون الآية: ٦٣.

(٧) سورة الأنعام الآية : ٤٣ .

(٤) سورة الأنبياء الآيات: ١ - ٢ - ٣. (٨) سورة البقرة الآية: ٧٤.

يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴿١﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ﴿٢﴾ ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣﴾ ﴿١١﴾ ﴿٣﴾ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْرَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ ﴿٤﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٤﴾ وهي قلوب لا تفقه ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ ﴿٥﴾ ﴿٥﴾ وهي قلوب قد شدد عليها ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٦﴾ ﴿٦﴾ وهي قلوب جعل عليها الزان ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٧﴾ ﴿٧﴾ وهي قلوب أصحابها مجرمون ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٨﴾ ﴿٨﴾ وهي قلوب غلف ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ ﴿٩﴾ ﴿٩﴾ وهي قلوب أشرت حب غير الله سبحانه

(١) سورة الروم الآية : ٥٩ .

(٢) سورة النحل الآية : ١٠٨ .

(٣) سورة الأعراف الآية : ١٠١ .

(٤) سورة محمد الآية : ٢٤ . (٧) سورة المطففين الآية : ١٤ .

(٥) سورة الأعراف الآية : ١٧٩ . (٨) سورة الشعراء الآية : ٢٠٠ .

(٦) سورة يونس الآية : ٨٨ . (٩) سورة البقرة الآية : ٨٨ .

وتعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ <sup>(١)</sup>  
وهي قلوب نجسة ﴿ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup>  
وهي قلوب غليظة ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ <sup>(٣)</sup>  
وهي قلوب قد عميت ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ <sup>(٤)</sup>  
وهي قلوب زائغة ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ <sup>(٥)</sup>  
وهي قلوب مشتتة ممزقة ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ <sup>(٦)</sup>  
وهي قلوب مشمئزة ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ <sup>(٧)</sup>  
وهي قلوب مليئة بحمية الجاهلية ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ <sup>(٨)</sup>.

(١) سورة البقرة الآية : ٩٣ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٤١ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٥٩ .

(٤) سورة الحج الآية : ٤٦ .

(٥) سورة الصف الآية : ٥ .

(٦) سورة الحشر الآية : ١٤ .

(٨) سورة الفتح الآية : ٢٦ .

(٧) سورة الزمر الآية : ٤٥ .

وكما كان لقلوب المؤمنين صفة جامعة هي السلامة فإن  
 الصفة الجامعة لصفات قلوب الكافرين هي صفة الموت فهي  
 قلوب ميتة كما أخبر الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ  
 يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٣٦) ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ  
 مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي  
 الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ (٢) فكل صفة من الصفات السابقة  
 فرع عن هذه الصفة الأساسية (موت القلب) نسأل الله السلامة  
 والعافية .

ومتى مات القلب فإنه يعمى ولا يبصر الحق ﴿ فَإِنَّهَا لَا  
 تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤٦) ﴿ لَذَلِكَ فَإِنْ  
 عمى البصيرة لا يقارن بعمى الأبصار ، نسأل الله أن ينور قلوبنا  
 وقبورنا وأن يختم لنا بخاتمة السعادة .

وكما تعددت صفات قلوب المؤمنين وصفات قلوب

(١) سورة الأنعام الآية : ٣٦ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٢٢ .

(٣) سورة الحج الآية : ٤٦ .

الكافرين تعددت كذلك صفات قلوب المنافقين وكما كان لكل منهما صفة جامعة فإن صفات قلوب المنافقين تجمعها صفة المرض ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ (١) ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا ﴾ (٢) فكل الصفات الأخرى فرع عن هذه الصفة الأساسية، فمنها أنها قلوب مليئة بالحسرة ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (٣) ومنها وهي قلوب مترددة ﴿ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قَتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ (٤) ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (٥) ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (٦) وهي قلوب لم تؤمن في الحقيقة ﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٧) ومنها أنها

(١) سورة البقرة الآية: ١٠.

(٢) سورة النور الآية: ٥٠.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٥٦.

(٤) سورة آل عمران الآية: ١٦٧.

(٥) سورة النساء الآية: ٦٣.

(٦) سورة المائدة الآية: ٤١.

قلوب مرتابة ﴿ إِنَّمَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ وَآزَنَاتٌ قُلُوبُهُمْ ﴾ (١) ﴿ لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي  
 قُلُوبِهِمْ ﴾ (٢) ومنها أنها قلوب مطبوع عليها ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا  
 مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (٣) - ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا  
 فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (٤) ومنها أنها خبيثة ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ  
 مَرَضٌ فَرَزَدَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ (٥) ومنها أنها قلوب  
 مصروفة عن الخير ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ  
 هَلْ يَرَيْنَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (٦)  
 ومنها أنها قلوب عليها أقفال ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْرٌ عَلَى  
 قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٧) ﴿ ﴾ (٧) ومنها أنها ملئت نفاقاً ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي

(١) سورة التوبة الآية : ٤٥ .

(٢) سورة التوبة الآية : ١١٠ .

(٣) سورة التوبة الآية : ٨٧ .

(٤) سورة المنافقون الآية : ٣ .

(٥) سورة التوبة الآية : ١٢٥ .

(٦) سورة التوبة الآية : ١٢٧ .

(٧) سورة محمد الآية : ٢٤ .

قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا  
يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ <sup>(١)</sup> ومنها أنها قلوب آئمة بما تنطوي عليه من  
خبث وسوء طوية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا  
فِي قُلُوبِهِمْ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ  
تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ  
لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْهُمْ﴾ <sup>(٥)</sup> ولما كان سبب مرض قلوب  
المنافقين هو الشك في الحق بالشبه التي ترد على قلوبهم عياداً  
بالله فإن مرضى القلوب بالشهوات يلحقون بهم بجامع المرض  
في قلوب الجميع ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ  
أَتَقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ <sup>(٦)</sup> .

(١) سورة التوبة الآية : ٧٧ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٠٤ .

(٣) سورة النساء الآية : ٦٣ .

(٤) سورة التوبة الآية : ٦٤ .

(٥) سورة محمد الآية : ٢٩ .

(٦) سورة الأحزاب الآية : ٣٢ .

وكل من مرض قلبه فإن بإمكانه من خلال التعرف على حقيقة مرضه أن يعرف ما إذا كان مرض قلبه مرض شبهة أو مرض شهوة فيجد في طلب الدواء<sup>(١)</sup> لتعود الصحة والغافية إلى قلبه فيسعد في الدنيا وينعم في الآخرة.

ويلاحظ من خلال استعراض صفات قلوب المنافقين أن هناك بعض الصفات المشتركة بينها وبين قلوب الكافرين ولا غرابة في هذا فقلوب المنافقين كما هو معلوم تبطن الكفر في الوقت الذي يعلن فيه أصحابها الإيمان ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وصفة الطبع هذه وصفة جعل الأقفال عليها في قوله تعالى: ﴿أَمَرَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾<sup>(٣)</sup> هما الصفتان المشتركتان بين قلوب الكافرين والمنافقين، وهما من أبرز الصفات التي تحول بين أصحابها وبين الحق، فلو شاء الله أن يرفع عنها الطبع والأقفال

(١) سيجري وصف الدواء في مبحث آخر إن شاء الله .

(٢) سورة البقرة الآية : ٨ .

(٣) سورة محمد الآية : ٢٤ .



لاستجابت للحق . . يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله في شرح  
معنى قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى قُلُوبِ  
أَقْفَالُهَا ﴾ (١) «فلورفعت الأقفال عن القلوب لباشرتها  
حقائق القرآن واستنارت فيها مصابيح الإيمان وعلمت علماً  
ضرورياً يكون عندها كسائر الأمور الوجدانية من الفرح والألم  
والحب والخوف أنه من عند الله تكلم به حقاً وبلغه رسوله  
جبريل عنه إلى رسوله محمد ﷺ فهذا الشاهد في القلب من  
أعظم الشواهد» (٢) .

---

(١) سورة محمد الآية : ٢٤ .

(٢) بغية القاصدين من كتاب مدارج السالكين - عبد الله بن خلف  
السيث ص ٢٩٧ ، الدار السلفية .

## رابعاً: أنواع القلوب باعتبار لونها:

حقاً إنه لشيء عجيب أن يكون للقلوب التي في الصدور لون، وأعجب منه أن تكون ألوانها تبعاً لحالتها من السلامة، والمرض، والموت، ولكن هذه هي الحقيقة التي قررها من وُكِّل إليه أمر بيان القرآن محمد ﷺ في قول الله جلّ جلاله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup> وذلك حيث يقول ﷺ فيما يرويه الإمام مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأَيُّ قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضمره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخياً لا

---

(١) سورة النحل الآية: ٤٤.

يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه»<sup>(١)</sup>.

فهذا بيان منه ﷺ عن انقسام القلوب تبعاً للونها إلى نوعين قلوب بيضاء، وقلوب سوداء، وأن البياض بسبب الطاعات والسواد بسبب المعاصي. فالقلب الأبيض قد أشرق فيه نور الإيمان وأزهر فيه مصباحه، وإذا عرضت عليه الفتن أنكرها وردّها فازداد نوره وإشراقه وقوته.

والقلب الأسود قد انكبّ وانتكس فاشتدّ الظلام فيه، فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً وربما استحکم فيه المرض حتى يعتقد المنكر معروفاً والمعروف منكراً، والسنة بدعة والبدعة سنة، والحق باطلاً والباطل حقاً بسبب الفتن التي أشربها وهي فتن الشهوات، وفتن الشبهات، وفتن الغي والضلال، وفتن المعاصي والبدع.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب.

وفتن الظلم والجهل (١).

وهذه القسمة الثنائية «البياض والسواد» هي أصل التنوع في ألوان القلوب، لكن لما كان النور واحداً وكانت الظلمات كثيرة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (٢) فقد جاء بيان ذلك التنوع في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب مربوط على غلافه، وقلب منكوس وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراج به فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة

(١) انظر: إغاثة اللهفان ص ١٦، ١٧.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١.

يمدها القيح والدم فأَيّ المدين غلبت على الأخرى  
غلبت عليه» (١).

فكان الإيمان بذلك سبب بياض القلب وكان الكفر  
والنفاق سبب اسوداد القلب عياداً بالله، وقد رأينا من  
خلال النصوص القرآنية التي سقت فيما مضى أن  
مكنونات القلوب تتفرع عن هذه الأصول فجاء  
إخباره ﷺ عن ألوان القلوب مبيناً لما دل عليه القرآن  
الكريم ومطابقاً له ومن عجب أن هذه المكنونات التي  
أعطت القلوب ألوانها البيضاء والسوداء هي بعينها التي  
أعطت الوجوه ألوانها البيضاء والسوداء كذلك ﴿يَوْمَ  
تَبْيَضُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ  
إِيمَانِكُمْ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ  
وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٠٧)﴾ (٢).

نسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته  
العلي أن يبيض قلوبنا ووجوهنا يوم نلقاه.

---

(١) المسند ج ٣ ص ١٧.

(٢) سورة آل عمران الآيتان: ١٠٦، ١٠٧.

## خامساً: أنواع القلوب باعتبار تأثيرها بالحق:

من خلال تدبر نصوص القرآن السابقة التي وردت فيها لفظة القلب نجد أن القلوب تنقسم باعتبار الاستجابة للحق إلى أربعة أنواع: قلب إذا ورد عليه الحق يستجيب له ويزداد به إيماناً وتصديقاً، وقلب يتيقنه فتقوم به عليه الحجة، وقلب يوجب له حيرة وعمى فلا يدري ما يريد منه، وقلب يفتن به كفراً وجحوداً<sup>(١)</sup>. وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْثَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾<sup>(٢)</sup>. فالقلوب المؤمنة الحية

(١) انظر: إغاثة اللهفان ج ١ ص ٢٢.

(٢) سورة المدثر الآية: ٣١.

قابله للتأثر بالحق جاهزة للانتفاع به ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتِ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (١) ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَعَجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (٣) ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهٖ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٤) ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ ۖ إِمَّا نَحْنُ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَّادَتْهُمْ إِمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٥) ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِ وَلَا تَسْمَعُ الصَّخْمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ (٦) .

(١) سورة الأنعام الآية : ٣٦ .

(٢) سورة النمل الآية : ٨١ .

(٥) سورة التوبة الآية : ١٢٤ .

(٣) سورة فصلت الآية : ٤٤ .

(٦) سورة النمل الآية : ٨٠ .

(٤) سورة الزمر الآية : ٢٣ .

وهذا الاستعداد لقبول الحق هو ما يطلق عليه ابن  
قيم الجوزية المحل القابل وذلك حيث يقول: «إذا أردت  
الانتفاع بالقرآن فأجمع قلبك عند تلاوته وألق سمعك  
واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه  
إليه، فإنه خطاب منه سبحانه لك على لسان رسوله ﷺ  
قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ  
وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٢٧) (١) وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على  
مؤثر مقتض ومحل قابل وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع  
الذي يمنع منه تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه  
وأدله على المراد فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ إشارة إلى ما  
تقدم من أول السورة إلى ها هنا وهذا هو المؤثر وقوله: ﴿لِمَنْ  
كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ فهذا هو المحل القابل والمراد به القلب النحي  
الذي يعقل عن الله، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الَّذِي ذَكَرُوا أَنَّ  
مُبِينٌ﴾ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا (٢) أي حي القلب وقوله: ﴿أَلْقَى

(١) سورة ق الآية: ٣٧.

(٢) سورة يس الآيتان: ٦٩، ٧٠.



السمع ﴿أي وجه سمعه إلى ما يقال له وهذا هو شرط التأثر بالكلام وقوله : ﴿وهو شهيد﴾ أي شاهد القلب حاضر ، غير غائب . قال ابن قتيبة : استمع لكتاب الله وهو شاهد القلب والفهم ، ليس بغافل ولا ساه . وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثر وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له والنظر فيه وتأمله . فإذا حصل المؤثر وهو القرآن ، والمحل القابل وهو القلب الحي ووجد الشرط وهو الإصغاء وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر حصل الأثر وهو الانتفاع بالقرآن والتذكر . فصاحب القلب الحي بين قلبه وبين معاني القرآن أتم الاتصال فيجدها كأنها قد كتبت فيه ، فهو يقرؤها عن ظهر قلب»<sup>(١)</sup> .

وهذا الإحساس المرهف في القلوب الحية هو الذي يشير إليه سيد قطب رحمه الله حيث يقول : «الذي يجد راحة اليقين في قلبه يجد في آيات مصداق يقينه ، ويجد فيها طمأنينة ضميره ، فالآيات لا تنشيء اليقين ، إنما اليقين هو

---

(١) التفسير القيم ص ٤٤٣ ، ٤٤٥ .

الذي يدرك دلائلها ويطمئن إلى حقيقتها ويهيء القلوب للتلقي  
 الواصل الصحيح» (١) ومن هنا كان القرآن هدى وبشرى  
 للمؤمنين ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ (٢) وهو  
 كذلك هدى للمتقين ﴿الْم﴾ (٣) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ  
 هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ وهم الذين ينتفعون به ﴿وَأَنذَرِيهِ الَّذِينَ  
 يَخَافُونَ أَن يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ  
 لَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٥) ﴿١١﴾ إِنَّمَا نُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ  
 بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ (٥)

وأما القلوب الكافرة الميتة فهي قلوب قد حيل بينها وبين  
 الحق عياداً بالله بحوائل كثيرة، فهي بقسوتها وكونها قد جعل  
 عليها الران والأكنة والأقفال، ولكونها قد طبع عليها وختم  
 عليها وكونها غلفاً وغافلة عن الله ولاهية عنه وعن اليوم الآخر  
 لا تقبل الحق ولا تستجيب له ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ

(١) الظلال ج ١ ص ١٠٧.

(٢) سورة فصلت الآية: ٤٤. (٤) سورة الأنعام الآية: ٥١.

(٣) سورة البقرة الآيتان: ١، ٢. (٥) سورة يس الآية: ١١.

إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقُرْ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ ﴿١﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ ﴿٢﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٣﴾ ﴿١٥٥﴾ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٤﴾ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٥﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٦﴾ ﴿٢١﴾ ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٧﴾ ﴿١٠﴾ ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٨﴾ ﴿٧﴾ قال ابن كثير في تفسيرها ﴿٩﴾ (قال السدي: ختم الله أي: طبع الله وقال قتادة في

(١) سورة فصلت الآية: ٥. (٥) سورة البقرة الآية: ٧٤.

(٢) سورة الكهف الآية: ٥٧. (٦) سورة الحشر الآية: ٢١.

(٣) سورة النساء الآية: ١٥٥. (٧) سورة الأعراف الآية: ١٠٠.

(٤) سورة المطففين الآية: ١٤. (٨) سورة البقرة الآية: ٧.

(٩) انظر: ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٥ - ٤٦.

هذه الآية : استحوذ عليهم الشيطان إذ أطاعوه ، فختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فهم لا يبصرون هدى ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون ، وعن مجاهد ختم الله على قلوبهم قال الطبع ثبت الذنوب على القلب فحفت به من كل نواحيه حتى تكثفت عليه قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاءً وفاقاً على تماديهم في الباطل وتركهم الحق وهذا عدل منه تعالى حسن وليس بقبيح .

وذكره القرطبي وأورد حديث تقلاب القلوب وحديث حذيفة في الصحيح عن رسول الله ﷺ وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب . . . إلى آخر الحديث » قال ابن جرير إن

---

(١) سورة الصف الآية : ٥ . (٢) سورة الأنعام الآية : ١١٠ .

رسول الله ﷺ قد أخبر في هذا الحديث أن الذنوب إذا  
تتابعت على القلوب أغلقتها وإذا أغلقتها أتاها حينئذ  
الختم قبل الله تعالى والطبع فلا يكون للإيمان إليها  
مسلك ولا للكفر عنها مخلص، وهذا هو الختم والطبع  
الذي جاء في قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ وهذا  
الذي ذهب إليه الإمام ابن كثير فيما أورد هنا من حقيقة  
بعد القلوب الكافرة عن قبول الحق هو زبدة النصوص  
الكثيرة التي تحدثت عن صفات قلوب الكافرين<sup>(١)</sup>، وهو  
الذي جعل موقف الإعراض عن الحق موقفاً متكرراً من  
الكافرين في كل زمان ومكان ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا  
يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنْزِلُنَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ  
قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ  
يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ (٢) ﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾﴾ (٣) . فالطغيان

(١) انظر: جزئية أنواع القلوب باعتبار صفاتها ص ٤٠ .

(٢) سورة البقرة الآية: ١١٨ .

(٣) سورة الذاريات الآيتان: ٥٢ ، ٥٣ .

ومجاوزة الحد في الكفر جمعتهم في هذا الموقف من الحق<sup>(١)</sup> وهو الذي أدى إلى الطبع على قلوبهم فلما لم يوجهوا قلوبهم إلى موجبات الهدى ودلائل الإيمان طبع الله على قلوبهم وأغلقها فما عادت تتلقى ولا تفعل ولا تستجيب<sup>(٢)</sup>. وذلك (حسب سنة الله القديمة في أن القلب الذي يغلقه صاحبه ينطبع على هذا ويجمد ويتحجر، فلا يعود صالحاً للتلقي والاستقبال لا أن الله سبحانه يغلق هذه القلوب ليمنعها ابتداء من الاهتداء، فإنما هي السنة تتحقق مقتضياتها في جميع الأحوال)<sup>(٣)</sup> فصاحب هذه الحال لا يسمع شيئاً ينفعه ولا يعي شيئاً يهتدي به ولا يرى حجة يستضيء بها)<sup>(٤)</sup> فلا يصل إلى قلبه هدى ولا يخلص إليه خير ولا يعي ولا يهتدي<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: زبدة التفسير من فتح القدير ص ٦٩٥.

(٢) سيد قطب - في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٣٤٢.

(٣) سيد قطب - في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٨١٣.

(٤) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٥٠.

(٥) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٦٩.

﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢٢) ﴿١﴾

وأما القلوب المريضة فبمقدار ما فيها من مرض يكون إعراضها عن الحق ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ (٢) ﴿وَأَزَلَّتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رِجْسِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (٤٥) ﴿٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٤٤) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (٤٥) ﴿٤﴾ ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيُزِيدَنَّهُ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٨) ﴿٥﴾ .

ومن مرضى القلوب المتكبرون والمستعلون في الأرض، حيث لا يحول بينهم وبين قبول الحق الذي

---

(١) سورة النحل الآية : ٢٢ .

(٤) سورة فصلت الآية : ٤٤ .

(٢) سورة التوبة الآية : ١٢٥ .

(٥) سورة المائدة الآية : ٦٨ .

(٣) سورة التوبة الآية : ٤٥ .

استيقنوه إلا الكبر ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (١) ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأُظُنُّكَ بِفِرْعَوْنَ مُشْبُورًا﴾ (٢) ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣) فيتحصل مما سبق أن موت القلب ومرضه من موانع الاستجابة للحق والاستجابة لداعيه والقسمة الرباعية السالفة في الحقيقة تؤول إلى قسمة ثنائية بالنسبة للاستجابة للحق فالقلوب إما مستجيبة وإما معرضة، ولكن الإعراض مراتب ودرجات نسأل الله السلامة والعافية، فالإعراض مرتبة، والتكذيب مرتبة فوقها، ثم الاستهزاء بالحق مرتبة فوق ذلك، والمرتبة الأسوأ من ذلك هي الصد عنه (٤).

(١) سورة النمل الآية: ١٤.

(٢) سورة الإسراء الآية: ١٠٢.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٤٦.

(٤) انظر: وظيفة الأخبار في سورة الأنعام رسالة دكتوراه للمؤلف

ص ٢٤٨ - ٢٤٩، عالم الكتب، الرياض.



## سادساً: أنواع القلوب باعتبار آثارها:

بمراجعة النصوص القرآنية المتعلقة بالقلب، وما كتب عن أنواع القلوب بالاعتبارات السابقة يمكن أن يقال إن القلوب باعتبار آثارها نوعان رئيسيان: نوع يدفع إلى تحقيق أسباب السعادة في الدنيا، ونعيم الآخرة، وتلك هي القلوب الحية الطاهرة السليمة إذ إن سلامة القلب تؤدي إلى إدراك الحق وإرادته وإيثاره فينشأ عن ذلك صحة العلم والقصد والعمل، وتؤدي إلى قوة العلم والتميز وقوة الإرادة والحب لله «ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم أعظم إيماناً وجهاداً ممن بعدهم لكمال معرفتهم بالخير والشر وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر لما علموه من حسن حال الإسلام والإيمان والعمل الصالح وقبح حال الكفر والمعاصي»<sup>(١)</sup>.

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية - الفتاوى جـ ١٠ ص ٣٠١.

فالقلب الحي لما فيه من النور يسمع ويبصر ويعقل

﴿فَاتَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٤٦) ﴿١﴾

وهو إذا قوي نوره وإشراقه انكشفت له صور المعلومات وحقائقها على ما هي عليه فاستبان حسن الحسن فآثره بحياته،

وكذلك يصبح القبيح قبيحاً وذلك مصداق قوله جلّ جلاله:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا

الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢) ﴿٢﴾ وقوله جلّ جلاله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ

مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (١٥) ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ

اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ

مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١٦) ﴿٣﴾ لذلك كان أصحاب هذه القلوب

مسارعين للخيرات، لما تحقق لهم من صحة العلم والقصد

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (١٠) ﴿أُولَٰئِكَ

(١) سورة الحج الآية: ٤٦.

(٢) سورة الشورى الآية: ٥٢.

(٣) سورة المائدة الآيتان: ١٥، ١٦.

يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ <sup>(١)</sup> وهؤلاء هم الذين آمنوا واستقاموا إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٢﴾ <sup>(٢)</sup> وهم الذين تكفل الله لهم بالحياة الطيبة في الدنيا والمثوبة العظيمة في الآخرة ﴿ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٩٧﴾ <sup>(٣)</sup> قَالَ أَهِيْطَا مِنْهَا جَمِيْعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ ﴿١١٣﴾ <sup>(٤)</sup> وهم الذين تحقق لهم شرح الصدر واتساعه وانفساحه ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٓٓ قَوِيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ﴾ <sup>(٥)</sup> وهم الذين خلصت

(١) سورة المؤمنون الآية : ٦١ .

(٢) سورة فصلت الآية : ٣٠ .

(٣) سورة النحل الآية : ٩٧ .

(٤) سورة طه الآية : ١٢٣ .

(٥) سورة الزمر الآية : ٢٢ .

محبتهم لخالقهم ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (١) ﴿١٦٥﴾  
 ومعلوم أن الحب يحرك إرادة القلب ، فكلما قويت المحبة في القلب طلب القلب فعل المحبوبات (٢) ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِّ إِلَيْكُمُ الْإِيمَنَ وَرَزَقْنَاهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (٣) ﴿٧﴾ ﴿ وَهُمْ الَّذِينَ يَحُولُ إِيْمَانُهُمْ بَيْنَ وَبَيْنِ الْإِنْحِرَافِ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٧﴾ (٤) ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّ عَنْهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٥) ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُودُ وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَنَ رَبِّهِمْ ﴾ (٦) فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَذْلُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) سورة البقرة الآية : ١٦٥ .

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية - الفتاوى ج ١٠ ص ١٩٢ .

(٣) سورة الحجرات الآية : ٧ .

(٤) سورة الأعراف الآية : ٢٠١ .

(٥) سورة المؤمنون الآية : ٦٠ .

(٦) سورة يوسف الآية : ٢٤ .

صفات سلوكية واضحة، هذه الصفات مرتبطة بتطهير القلب وتركية النفس وتنقية الضمير، ومن شأنها أن تحمي الفرد من الانحراف والفساد<sup>(١)</sup> والمؤمنون الصادقون ذوو القلوب الطاهرة الزكية هم الذين يرضى الله عنهم ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> ورضوان الله هو منتهى بغية العقلاء.

«حكى أن عمر رأى ولداً له يوم عيد وعليه قميص خلق فبكى فقال ما يبكيك؟ فقال له: يا بني أخشى أن ينكسر قلبك في يوم العيد إذا رآك الصبيان بهذا القميص المخلق فقال إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه أو عق أمه وأباه وإني لأرجو أن يكون الله راضياً عني برضاك فبكى عمر وضمه إليه ودعا له»<sup>(٣)</sup>.

(١) فوزية رضا أمين خياط - الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٦٩، مكتبة المنارة.

(٢) سورة الفتح الآية: ١٨.

(٣) مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب ص ٤١٩، دار إحياء العلوم.

وعلى هذا فحياة القلب وإضاءته مادة كل خير وموته وظلمته مادة كل شر (١). ومن هنا كان النوع الثاني من أنواع القلوب باعتبار آثارها قلوباً تدفع أصحابها إلى شقاء الدنيا وعذاب الآخرة عياداً بالله وهي قلوب الكافرين والمنافقين أي القلوب الميتة والقلوب المريضة، ذلك أن هذه القلوب يفسد إدراكها، فإما أن يذهب الإدراك بالكلية وإما أن ينقص الإدراك، وإما أن تدرك الأشياء على خلاف ما هي عليه، أي أنه يترتب على حالها فساد العلم والقصد والعمل، لأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢) ومن ثم يضعف علمها وتميزها وإرادتها، فموت القلب أو مرضه يؤدي إلى عدم إدراك الحق والإعراض عنه وكراهيته ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣) ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ

(١) طب القلوب ص ٣٨.

(٣) سورة النحل الآية: ٢٢.

(٢) سورة الأنفال الآية: ٢٢.

أَسْمَأَزَتْ قُلُوبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١﴾ (وإنما يشقى العبد إذا حصل على أربع خلال أولها الكسل والبطالة ويتبعها ضياع الزمان وفناء العمر بغير فائدة إنسانية، والثاني الغباوة والجهل المتولدان عن ترك النظر ورياضة النفس بالتعاليم التي أحصيناها في كتاب مراتب السعادات، والثالث الوقاحة التي ينتجها إهمال النفس إذا تتبععت الشهوات وترك زمها عن ركوب الخطايا والسيئات، والرابع الانهماك الذي يحدث من الاستمرار في القبائح وترك الإنابة.

وهذه الأنواع الأربعة مسماة في الشريعة بأربعة أسماء: فالأول هو الزيف، والثاني هو الرين، والثالث هي الغشاوة، والرابع هو الختم<sup>(٢)</sup>. وهذه الصفات الأربع من أجمع صفات القلوب الميتة والمريضة التي جرى بيانها

(١) سورة الزمر الآية: ٤٥.

(٢) أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي (مسكويه) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص ١١٧، دار مكتبة الحياة، بيروت

فيما مضى وهي مما تترتب عليه الآثار السيئة في حياة الإنسان ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ ﴾ (١) ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٢) ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَبِغْيَاءٍ تَأْوِيلَةٍ ۚ ﴾ (٣) ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٤) ﴿ وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَبَّعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ۚ ﴾ (٥) إذ القلوب غير الصحيحة يشته عليها أمر المعروف والمنكر والحسن والقيبح ، لذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : «هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف من المنكر» (٦) .

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٧) وأصحاب هذه

(١) سورة المائدة الآية : ٥٢ .

(٢) سورة التوبة الآية : ٤٥ . (٥) سورة الكهف الآية : ٢٨ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٧ . (٦) إغاثة اللهفان ج ١ ص ٣١ .

(٤) سورة البقرة الآية : ١١٨ . (٧) سورة الأنعام الآية : ٤٣ .



القلوب هم أهل الضلال والغي الذين لهم الضيق والخرج ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(١)</sup> وهم أهل الشقاء عياداً بالله ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾<sup>(٢)</sup> ولا تنافي بين هذه القسمة الثنائية وبين ما ذهب إليه ابن قيم الجوزية من تقسيمه للقلوب بالنسبة لتأثيرها على الإنسان إلى ثلاثة أقسام حيث يقول «والقلوب ثلاثة :

فالأول: قلب خال من الإيمان وجميع الخير فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إنفاذ الوسواس إليه لأنه قد اتخذ بيتاً ووطناً وتحكم فيه بما يريد وتمكن فيه غاية التمكن .

الثاني: قلب استنار بنور الإيمان وأوقد فيه

(١) سورة الأنعام الآية : ١٢٥ .

(٢) سورة طه الآية : ١٢٤ .

مصباحه لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية  
للشيطان هناك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع، فالحرب  
دول وسجال، وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلّة  
والكثرة، فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر، ومنهم من  
هو تارة وتارة.

الثالث: قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور  
الإيمان وانقشعت عنه سحب الشهوات وأقلمت عنه تلك  
الظلمات، فلنوره في صدره إشراق، ولذلك الإشراق  
إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به، فهو كالسماء التي  
حرسست بالنجوم فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم  
فأحرق» (١).

فالثاني من قسمته فرع عن الأول عند غلبة الهوى  
عليه وفرع عن الثاني عند غلبة الخير عليه، كما لا تنافي  
بين تلك القسمة الثنائية وبين ما ذهب إليه أحمد بن  
قدامة إذ يقول: «وأعلم أن القلوب في الثبات على الخير

---

(١) الوابل الصيب ص ٤٠.

والشر والتردد بينهما ثلاثة :

الأول: عمر بالتقوى، وزكي بالرياضة، وطهر من خبائث الأخلاق تنفرج فيه خواطر الخير من خزائن الغيب فيمده الملك بالهدى.

الثاني: قلب مخذول، مشحون بالهوى، مدنس بالخبائث، ملوث بالأخلاق الذميمة، فيقوى فيه سلطان الشيطان لاتساع مكانه، ويضعف سلطان الإيمان، ويمتلئ القلب بدخان الهوى فيعدم النور ويصير كالعين الممثلة بالدخان لا يمكنها النظر ولا يؤثر عنده زجر ولا وعظ.

الثالث: قلب يبدىء فيه خاطر الهوى فيدعوه إلى الشر، فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الإيمان»<sup>(١)</sup>.

فالقلب الثالث في هذه القسمة هو فرع عن الأول باعتبار غلبة الإيمان وفرع عن الثاني باعتبار غلبة الهوى، فتكون القسمة في الحقيقة ثنائية.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ١٥١، مكتبة دار البيان.

1. The first part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

2. The second part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

3. The third part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

4. The fourth part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

5. The fifth part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

6. The sixth part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

7. The seventh part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

8. The eighth part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

9. The ninth part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

10. The tenth part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

11. The eleventh part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

12. The twelfth part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

13. The thirteenth part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

14. The fourteenth part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

15. The fifteenth part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

16. The sixteenth part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

17. The seventeenth part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

18. The eighteenth part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

19. The nineteenth part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

20. The twentieth part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

21. The twenty-first part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

22. The twenty-second part of the document is a list of the names of the persons who have been appointed to the various offices of the city.

## المبحث الثالث:

### مظاهر القلوب

وفيه:

- ♥ المقصود بالظاهر.
- ♥ مظاهر حياة القلب وصحته.
- ♥ مظاهر موت القلب وفساده وضياعه.

1. The first part of the document is a letter from the President of the United States to the Congress, dated January 1, 1861.

2. The second part is a report from the Secretary of the Treasury, dated January 1, 1861.

3. The third part is a report from the Secretary of the Interior, dated January 1, 1861.

4. The fourth part is a report from the Secretary of the Navy, dated January 1, 1861.

5. The fifth part is a report from the Secretary of the War, dated January 1, 1861.

6. The sixth part is a report from the Secretary of the State, dated January 1, 1861.

7. The seventh part is a report from the Secretary of the War, dated January 1, 1861.

8. The eighth part is a report from the Secretary of the Navy, dated January 1, 1861.

9. The ninth part is a report from the Secretary of the Interior, dated January 1, 1861.

10. The tenth part is a report from the Secretary of the Treasury, dated January 1, 1861.

11. The eleventh part is a report from the Secretary of the War, dated January 1, 1861.

12. The twelfth part is a report from the Secretary of the Navy, dated January 1, 1861.

13. The thirteenth part is a report from the Secretary of the Interior, dated January 1, 1861.

14. The fourteenth part is a report from the Secretary of the Treasury, dated January 1, 1861.

15. The fifteenth part is a report from the Secretary of the War, dated January 1, 1861.

16. The sixteenth part is a report from the Secretary of the Navy, dated January 1, 1861.

17. The seventeenth part is a report from the Secretary of the Interior, dated January 1, 1861.

18. The eighteenth part is a report from the Secretary of the Treasury, dated January 1, 1861.

19. The nineteenth part is a report from the Secretary of the War, dated January 1, 1861.

20. The twentieth part is a report from the Secretary of the Navy, dated January 1, 1861.

21. The twenty-first part is a report from the Secretary of the Interior, dated January 1, 1861.

22. The twenty-second part is a report from the Secretary of the Treasury, dated January 1, 1861.

23. The twenty-third part is a report from the Secretary of the War, dated January 1, 1861.

24. The twenty-fourth part is a report from the Secretary of the Navy, dated January 1, 1861.

25. The twenty-fifth part is a report from the Secretary of the Interior, dated January 1, 1861.

26. The twenty-sixth part is a report from the Secretary of the Treasury, dated January 1, 1861.

27. The twenty-seventh part is a report from the Secretary of the War, dated January 1, 1861.

28. The twenty-eighth part is a report from the Secretary of the Navy, dated January 1, 1861.

29. The twenty-ninth part is a report from the Secretary of the Interior, dated January 1, 1861.

30. The thirtieth part is a report from the Secretary of the Treasury, dated January 1, 1861.

## أولاً: المقصود بمظاهر القلوب:

يراد بمظاهر القلوب في هذا السياق العلامات الكاشفة عن حالة القلب من السلامة والمرض والموت. أو دلالات قد يتوصل من خلال تعقبها إلى ما عليه قلب الإنسان، سواء تمثلت هذه الدلالات أو العلامات في المشاعر والأحاسيس أو الأقوال والأفعال، أو هي الأحوال الظاهرة التي تكشف عن حقيقة مكنونات القلوب. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾<sup>(١)</sup> ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعْبَرٌ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(٢)</sup> فهذه مظاهر سلوكية تكشف عن حقيقة دخيلة قلوب المؤمنين مثلاً، وهناك مظاهر سلوكية أخرى تكشف عن خبايا قلوب المنافقين ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ

(٢) سورة الحج الآية: ٣٢.

(١) سورة الحجرات الآية: ٣.

أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ﴿١﴾ ﴿ قَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ ﴿٢﴾ ﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ ﴿٣﴾ ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ﴿٤﴾ ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿٥﴾ ﴿ وَهَنَّا عِلَامَاتٍ خَارِجَةٍ تَدُلُّ عَلَى حَالِ الْقَلْبِ ﴾ ﴿ وَإِذَا زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ ﴿٦﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ أَقْوَالُ تَكْشِفُ عَنْ حَالَةِ الْقَلْبِ ﴾ ﴿ وَإِذَا يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ﴿٧﴾ ﴿ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ ﴿٨﴾ ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ ﴾ ﴿٩﴾

(١) سورة التوبة الآية: ١٢٧ .

(٢) سورة المائدة الآية: ٥٢ . (٦) سورة الأحزاب الآية: ١٠٠ .

(٣) سورة محمد الآية: ٢٠ . (٧) سورة الأحزاب الآية: ١٢ .

(٤) سورة الزمر الآية: ٤٥ . (٨) سورة المدثر الآية: ٣١ .

(٥) سورة الصافات الآية: ٣٥ . (٩) سورة الأنفال الآية: ٤٩ .



ومنها علامات تظهر على الوجوه ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَثَهُمْ ﴾ (١) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴾ (٢) ﴿ (١) ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (٢) ومن تلك العلامات والدلائل المشاعر والعواطف ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ (٣) ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (٤) ﴿ والمقصود في هذا المقام هو ضرب الأمثلة للبيان والعظة وليس استقصاء الصور والنماذج.

(١) سورة محمد الآيتان: ٢٩، ٣٠.

(٢) سورة الفتح الآية: ٢٩.

(٣) سورة المجادلة الآية: ٢٢.

(٤) سورة الحجرات الآية: ٧.

## ثانياً: مظاهر حياة القلب وصحته:

هناك علامات تدل على مدى الحياة في القلب، وهذه العلامات مستقرة ومستخلصة من النصوص القرآنية التي سيقت في معرض بيان قلوب المؤمنين، ذلك أن التقوى المستقرة في قلوب المؤمنين هي أساس الصلاح وأساس الحياة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمَّحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ (١).

ولما كان صلاح العلم والعمل مرهوناً بسلامة القلب وخلوه من العوائق والموانع التي تحول بينه وبين إدراك الحق وقبوله والانقياد إليه وإيثاره. كان الإنسان السوي مطالباً بأن يتفقد قلبه كل حين حتى يحقق له أسباب الحياة والسلامة والصحة، وذلك ما يجعل المؤمن في حالة يقظة وترقب.

ومظاهر حياة القلب علامات، ودلالات على

---

(١) سورة الحجرات الآية: ٣.

طريق المراقبة الذاتية تقدم لمن وجدها بشائر تشد أزره،  
وتشجذ همته وتثبت خطاه على طريق الاستقامة، كما  
يؤدي فقدانها إلى الخوف على الحال والمآل، ومن ثم  
فهي في الحقيقة وسيلة مهمة في المحافظة على حياة  
القلب وسلامته، بل إنها أداة رصد فعالة إذا حسن  
استخدامها.

ونحن إذ نسوق جملة منها إنما نسعى إلى تحقيق  
المعنيين السابقين في حياة الناس لأن الله سبحانه وتعالى  
قد رتب على صلاح القلوب صلاح الأقوال والأفعال،  
بل وطيب الحياة في الدارين.

فمن تلك المظاهر حسن الانتفاع بالعظة  
والاستبصار بالعبرة والظفر بالثمرة، فإن العمل الصالح  
هو ثمرة العلم النافع<sup>(١)</sup>.

ومن تلك العلامات أو المظاهر وجل القلب من الله  
وشدة الخوف منه ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ

---

(١) انظر: طب القلوب ص ٢٤٦، ٢٤٧.

قُلُوبُهُمْ ﴿١﴾ ﴿وَيُشِيرُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿٢﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ (٣)، ومنها القشعريرة في البدن عند سماع القرآن، ولين الجلود والقلوب إليه ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُرْ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٤)، ومنها خشوع القلب لذكر الله ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (٥)، ومنها الازدعان للحق والخضوع له ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ (٦)، ومنها كثرة الإنابة إلى الله ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (٧) ومنها الإنس بذكر الله خلاف الذين يشمئزون منه ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ (٨)، ومنها تعظيم شعائر الله ﴿ذَلِكَ وَمَنْ

(١) سورة الأنفال الآية: ٢. (٥) سورة الحديد الآية: ١٦.

(٢) سورة الحج الآيتان: ٣٤، ٣٥. (٦) سورة الخج الآية: ٥٤.

(٣) سورة المؤمنون الآية: ٦٠. (٧) سورة ق الآية: ٣٣.

(٤) سورة الزمر الآية: ٢٣. (٨) سورة الزمر الآية: ٤٥.

يُعْظِمُ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ <sup>(١)</sup> ، ومنها  
 التضرع إلى الله والفرع إليه وقت الشدة ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ  
 بِأَسْنَا تَضَرَّعُوا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ومنها الطمأنينة بذكر الله ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 وَنَظَمُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ  
 الْقُلُوبُ ﴾ <sup>(٣)</sup> <sup>(٢٨)</sup> ومنها السكينة والوقار ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ  
 فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، ومنها خفقان القلب بحب  
 المؤمنين ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا  
 تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ <sup>(٥)</sup> ومنها سلامة الصدر من  
 الضغائن والأحقاد ضد المؤمنين ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
 إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ <sup>(٦)</sup> ومنها  
 عدم التقديم بين يدي الله ورسوله وعدم رفع الصوت فوق  
 صوت النبي وغيض الصوت عنده ، أي الانقياد المطلق  
 لأمر الله ورسوله والخضوع له ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ

- 
- |                               |                                 |
|-------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة الحج الآية : ٣٢ .    | (٤) سورة الفتح الآية : ١٨ .     |
| (٢) سورة الأنعام الآية : ٤٣ . | (٥) سورة الحشر الآية : ١٠ .     |
| (٣) سورة الرعد الآية : ٢٨ .   | (٦) سورة آل عمران الآية : ١٠٣ . |

يَدِّيَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَأَقْوًا ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :  
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ لِلنَّقْوَى﴾ ﴿٢﴾ .

وهذا يعني أن إدراك الحق وإرادته وإيثاره من أهم  
مظاهر حياة القلوب وصحتها حيث يؤدي إلى حب الله  
والأنس به وإجلاله وتعظيمه والإنابة إليه والخضوع له  
والخوف منه، وتعلق القلب به ورجائه، والاطمئنان  
إليه، والتوكل عليه، وغير ذلك من أعمال القلوب التي  
تميز المؤمنين عن الكافرين، وجماع ذلك كله محبة الله  
والأنس به والشوق إلى لقائه والتنعم بذكره وطاعته،  
فذاك أطيب ما في هذه الدنيا، فحياة القلب بذكر الحي  
الذي لا يموت والعيش الهني إنما هو في الحياة مع الله،  
ومن كان كذلك دله قلبه عن الدنيا وانصرف كلية إلى  
الآخرة، بل وعن كل شيء سوى الله تعالى، فهذه هي  
حال قلوب المنيبين إلى الله ﴿٣﴾ .

---

(١) سورة الحجرات الآية : ١ . (٢) سورة الحجرات الآية : ٣ .

(٣) انظر: طبائع النفوس المسمى بكتاب الأكياس والمغترين للحكيم  
الترمذي محمد بن علي المتوفى ٣٢٠ ص ٦٢ .

وذلك كما وصف حارثة نفسه لرسول الله ﷺ  
فوصفه بأنه عبد نور الله قلبه بالإيمان<sup>(١)</sup> وذلك في  
الحديث المشهور أن النبي ﷺ قال لحارثة: «يا حارثة  
كيف أصبحت قال أصبحت مؤمناً حقاً، قال انظر ما  
تقول فإن لكل قول حقيقة، قال: يا رسول الله عزفت  
نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظلمات نهاري وكأني  
أنظر إلى عرش ربي بارزاً وكأني أنظر إلى أهل الجنة  
يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل النار كيف يتعارفون  
فيها قال أبصرت فالزم عبد نور الله قلبه بالإيمان»<sup>(٢)</sup>  
وهو يعني مصداق أمر رسول الله ﷺ لابن عمر: «كن في  
الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»<sup>(٣)</sup>.

فيتحصل مما سبق أن من أبرز مظاهر حياة القلوب  
وعلامات صحتها وسلامتها، شدة التعلق بالله، ودوام

---

(١) انظر: دواء القلوب المقرب لحضرة علام الغيوب ص ٢٠.

(٢) قيل إنه ليس بصحيح.

(٣) أخرجه البخاري - الرقائق.

ذكره، وأطمئنان القلب بذلك والاهتمام بصحة العمل  
بتصحيح النية وتحقيق المتابعة، والشح بعرضه كشح ذي  
المال البخيل، والحزن على فوات الطاعات والاشتياق  
إليها، واجتماع الهم بالله والسعي في مرضاته، وشهود  
نعمة الله والإحساس بالتقصير في حقه، وذهاب الهم  
بالصلاة والارتياح بها، وإيثار الآخرة على الدنيا، والنافع  
على الضار، والتألم بورود القبائح على النفس، والنفور  
من المعاصي، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما  
سواهما (١).

ومن خلقت فيه قوة الحب لله والإنابة إليه  
والعكوف بالقلب عليه والشوق إليه والأنس به، فلذته  
ونعيمه استعمال هذه القوة في ذلك وسائر اللذات دون  
هذه اللذة مضمحلة فانية وأحمد عاقبتها أن تكون لاله  
ولا عليه (٢).

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان ج ١ ص ١١٣ - ١١٩.

(٢) دواء القلوب ص ٣٤٠.



والقلب إن لم تسكنه محبة الله سكنته محبة  
المخلوقين، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك  
بالباطل، بل إن حال القلب مع الله هو كما قال ابن قيم  
الجوزية: «في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله،  
وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهب  
إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه  
إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفيه نيران حشرات لا  
يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على  
ذلك إلى وقت لقائه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته  
والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أعطى  
الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة» (١). وصدق والله  
رحمه الله.

ومن ملاحظة واقع القلب ومعرفة حظه من تلك  
المعاني يعرف المرء حاله ومكانه. «وذلك لأن هذا  
الأنس المذكور يكون مبدؤه الكشف عن أسماء الصفات

---

(١) مدارج السالكين.

التي يحصل عنها الأنس ويتعلق بها كاسم الجميل والبر  
واللطيف والودود والحليم والرحيم ونحوها ثم يقوى  
التعلق بها حتى يكون معه طيب الحياة وقرة العين ولذة  
القلب وبهجة الروح مع كمال العافية بلا محنة والهداية  
بلا فتنة فتخف أعباء المسير، ويزول كل فتور ويظل  
القلب في ازدياد من معاني الخير دائماً<sup>(١)</sup>.

ولو أخذنا مظهراً واحداً من مظاهر حياة القلوب  
تلك لنعرض واقعنا عليه وهو خفقان القلب بحب  
المؤمنين فماذا نحن واجدون، هل خفقت قلوبنا بحب  
أصحاب النوافل؟، أم هل خفقت قلوبنا بحب أهل  
الصيام والقيام؟، وهل خفقت قلوبنا بحب أهل العلم  
والدعوة والجهاد؟ أم هل خفقت بحب أهل الصدق  
والبذل والإنفاق في سبيل الله؟!<sup>(٢)</sup> كلنا مطالبون  
بالإجابة الصادقة عن هذه الأسئلة لنقيس مدى الحياة في  
قلوبنا من خلال معيار واحد على الأقل.

---

(١) ابن قيم الجوزية.

(٢) سلمان بن فهد العودة - جلسة على الرصيف ص ١٧.

### ثالثاً: مظاهر موت القلب وضياعه وفساده:

رأينا من خلال ما سبق من مظاهر القلوب الحية أن هناك علامات تدل على حالة القلب السليم، وكذلك هناك علامات تدل على حالة القلب الميت أو المريض، ومن أبرز تلك العلامات وأظهرها أن يتعذر على الإنسان ما خلق له من المعرفة بالله ومحبه والشوق إلى لقائه والإنابة إليه وإيثار ذلك على كل شهوة (١) .

ومنها قلة الانفعال في الرغائب وقلة الإشفاق والرحمة، فقلوب أهل المعاصي معرضة عن كتاب الله وسنة رسوله، فهي مظلمة بعيدة عن الحق لا يصل إليها شيء من نور الإيمان وحقائق الفرقان (٢) .

---

(١) إغاثة اللهفان ج ١ ص ١١٣ .

(٢) دواء القلوب ص ٢٦١ .

ومنها إثارة الدنيا على الآخرة كما في حديث جابر رضي الله عنه: «تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه يصبح مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا»<sup>(١)</sup>، ومنها حب الشهوات ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿٢٨﴾ «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ»<sup>(٣)</sup>، ومنها شدة الغفلة ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾<sup>(٤)</sup> «مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾<sup>(٥)</sup> «لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ»<sup>(٦)</sup> «وإنما يقسى القلب ويحدث الغفلة كثرة الفضول من الأقوال والأفعال وتنويق المأكل والمشرب، فإن هذه الأمور تحدث ظلمة القلب وموته»<sup>(٥)</sup>، ومنها قحط العين وجفافها فتلك من

(١) أخرجه ابن ماجه في الفتن. (٣) سورة القصص الآية: ٥٠.

(٢) سورة الكهف الآية: ٢٨. (٤) سورة الأنبياء الآيات: ١ - ٢ - ٣.

(٥) د. أحمد زيد - التزكية بين أهل السنة والصوفية، ص ١٥، مكتبة

رياض الجنة.

مظاهر قسوة القلب، وما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله، فأبعد القلوب من الله القلب القاسي، وقسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل والنوم والكلام والمخالطة، من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهواته، فالقلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها، وأهل المعرفة من أحيوا قلوبهم بقتل الهوى، وأما من قتل قلبه وأحيا الهوى فالمعرفة والحكمة عارية على لسانه<sup>(١)</sup>.

ومنها القلق والاضطراب والخوف ﴿سُكِّنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾<sup>(٢)</sup>، ومنها عدم الشعور وقلة الإحساس ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَفْئِدَةٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفٰٔفِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، ومنها هوان القبائح عليه والرغبة في المعاصي ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

(١) انظر: الفوائد لابن القيم ص ١١١.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٥١. (٣) سورة الأعراف الآية: ١٧٩.

يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ ﴿٢﴾

ومنها عدم إنكار المنكر، فإن كان القلب لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً نكس فجعل أعلاه أسفله كما قال علي رضي الله عنه <sup>(٣)</sup>، ومنها الشعور بقوة القلب وخشونته ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ <sup>(٥)</sup>، ومنها انحباس الطبع وضيق الصدر والشعور بالقلق والضيق بالناس ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ <sup>(٦)</sup> ﴿١٢٥﴾

- 
- (١) سورة البقرة الآيتان: ٢٠٤، ٢٠٥. (٤) سورة الحديد الآية: ١٦.  
 (٢) سورة محمد الآية: ١٢. (٥) سورة البقرة الآية: ٧٤.  
 (٣) دواء القلوب ص ٦٨. (٦) سورة الأنعام الآية: ١٢٥.

ومنها عدم التأثير بآيات القرآن ﴿ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ (١) ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (١٢٥) ﴿ (٢) ، ومنها عدم التأثير بالموعظة عامة وبالموت ولا رؤية الأموات خاصة ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾ (١٢٦) ﴿ (٣) ، ومنها ازدياد الشغف بملذات الدنيا والحرص عليها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايِنِنَا غَافِلُونَ ﴾ (٧) ﴿ (٤) ، ومنها ظلمة في روحه تنعكس على وجهه يبصرها أصحاب الفراسات الإيمانية ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ (٥) « إن للحسنة لنورا في القلب وقوة في البدن وضياء في الوجه وسعة في الرزق

(١) سورة محمد الآية : ١٦ .

(٢) سورة التوبة الآية : ١٢٥ . (٤) سورة يونس الآية : ٧ .

(٣) سورة التوبة الآية : ١٢٦ . (٥) سورة يونس الآية : ٢٧ .

ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة لظلمة في القلب  
وسواداً في الوجه ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق  
وبغضاً في قلوب الخلق» (١).

ومنها تكاسل عن أعمال الخير ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ  
إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَاهُونَ﴾ (٥٤) ﴿فَلَا تَعْجَبْكَ  
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَيَزْهَقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٥٥) ﴿٢﴾، ومنها شدة الغفلة عن  
الله وعدم الانتفاع بالنعم وعدم الاتعاظ بالنقم ﴿فَلَوْلَا إِذَا  
جَاءَهُمْ بِأَسْنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤٣) ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ  
أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ  
مُبْسُورُونَ﴾ (٤٤) ﴿٣﴾ ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا﴾ (٤) ﴿ومنها حرمان  
العلم ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ  
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (٧) ﴿٥﴾ ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا

(١) الفتاوى ج ١٠ ص ٩٨، ٩٩ من قول بعض السلف.

(٢) سورة التوبة الآيتان: ٥٤، ٥٥. (٤) سورة المؤمنون الآية: ٦٣.

(٣) سورة الأنعام الآيتان: ٤٣، ٤٤. (٥) سورة الفاتحة الآية: ٧.



يَسْمَعُونَ ﴿١﴾ ﴿١٠١﴾ ومنها الإحساس بالوحشة بين العبد  
 وربّه ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ﴿٢﴾ ﴿يَحْذَرُ  
 الْمُنْفِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ﴿٣﴾  
 ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ﴿٤﴾ ، ومنها الإحساس  
 بالوحشة بينه وبين الخلق وخاصة الصالحين ﴿يَرْضَوْنَكُمْ  
 بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿٨﴾ ﴿٥﴾ ﴿وَدَوَّامًا  
 عَنِّي قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ  
 أَكْثَرُ﴾ ﴿٦﴾ .

ومنها عدم الاستجابة لله وللرسول ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى  
 الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ  
 يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا  
 مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾ ﴿٧﴾ ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرَفُ الْأَيَاتِ ثُمَّ هُمْ  
 يَصْدِفُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ

(١) سورة الأعراف الآية : ١٠٠ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٥٦ . (٥) سورة التوبة الآية : ٨ .

(٣) سورة التوبة الآية : ٦٤ . (٦) سورة آل عمران الآية : ١١٨ .

(٤) سورة الزمر الآية : ٢٢ . (٧) سورة الكهف الآية : ٥٧ .

يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴿١﴾ ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢﴾

وقد كشف إبراهيم بن أدهم عن أسباب موت القلوب، وعدم الاستجابة للحق فقال: «لأن قلوبكم قد ماتت بعشرة أشياء عرفتكم الله فلم تؤدوا حقه، وقرأتم كتاب الله ولم تعملوا به، وادعيتم عداوة الشيطان وواليتموه، وادعيتم حب الرسول ﷺ وتركتم أثره وسنته ادعيتم حب الجنة ولم تعملوا لها، وادعيتم خوف النار ولم تنتهوا عن الذنوب، وادعيتم أن الموت حق ولم تستعدوا له، واشتغلتم بعيوب غيركم وتركتم عيوب أنفسكم، وتأكلون رزق الله ولا تشكرونه، وتدفنون موتاكم ولا تعتبرون» (٣).

ومعلوم أن هذه المظاهر والعلامات التي كشف عنها هنا هي في الحقيقة من الدلالات على موت القلب

(١) سورة الأنعام الآية: ٤٦. (٢) سورة الأنفال الآية: ٢٣.

(٣) للمسافرين فقط، أحمد عثمان، ص ٣٠، ط ١، ١٤٠٩ هـ.

بالكفر كلية أو مرضه بالشك والشهوة عياداً بالله، ولو مات أصحابها على ذلك لدخلوا النار، وقد قالوا: «إنما يدخل الناس النار من ثلاثة أبواب باب أورث شكا في دين الله وباب شهوة أورث تقديم الهوى على طاعته ومرضاته، وباب غضب أورث العدوان على خلقه.. أصول الخطايا ثلاثة الكبر وهو الذي صير إبليس إلى ما صار إليه، والحرص وهو الذي أخرج آدم من الجنة، والحسد وهو الذي جرأ ابن آدم على أخيه، فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص والبغي والظلم من الحسد» (١).

وما دمنا قد بينا فيما مضى مظاهر حياة القلب وصحته، ومظاهر موت القلب وفساده، فإنه يجدر بنا أن ننبه إلى حقيقة غاية في الأهمية وهي أن القلوب قد لا تدوم على حالة واحدة، فقد يموت القلب الحي بأسباب وقد يحيا القلب الميت بأسباب كذلك، كما قد يصح

---

(١) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان ج ١ ص ١١٣.

القلب المريض أيضاً بأسباب، فالقلب يموت بالجهل المطلق، ويمرض بنوع من الجهل ويحيا بالعلم واليقين، وفي القرآن من البينات ما يزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك، وهو مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة حتى يصلح القلب ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾<sup>(١)</sup> والتوبة كذلك تصلح القلب، فإذا تاب العبد من الذنب تخلص قوة القلب وإرادته للأعمال الصالحة، فبالإيمان يزكو القلب وينمو فإنه يتضمن نفي ألوهية ما سوى الله الحق من القلب وإثبات إلهية الحق فيه، وهو حقيقة لا إله إلا الله، وهو أصل ما تزكو به القلوب. أما ما يفسده فهو الشبهات والشهوات، فيوردها عليه ليقوى مرضه، والشفاء هو القرآن، وذكر الله ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿يَأْتِيهَا

(١) سورة الأنفال الآية: ٢٤.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٨٢.

النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ  
وَهُدًى ﴿١﴾ وتحقيق التقوى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ  
النَّقْوَى﴾ ﴿٢﴾ وقد أحسن من نظم الأبيات التي بها حياة  
القلوب وموتها وذلك حيث يقول:

حمدت الذي أغنى وأقنى وعلمنا  
وصير شكر العبد للخير سلماً  
وأهدي صلاة تستمر على الرضا  
وأصحابه وآل جمعاً مسلماً  
كما دلنا في الوحي والسنن التي  
أتانا بها نحو الرشاد وعلمنا  
أزال بها الأغلاف عن قلب حائر  
وفتح آذاننا أصمت وأحكما  
فيا أيها الباغي استنارة قلبه  
تدبر كلا الوحيين وانقد وسلماً  
فعنوان إسعاد الفتى في حياته

---

(١) سورة يونس الآية: ٥٧ .

(٢) سورة البقرة الآية: ١٩٧ .

مع الله إقبالاً عليه معظماً  
 وفاقد ذا لا شك قد مات قلبه  
 أو اعتل بأمراض كالدين والعمى  
 وآية نعم في الجوارح منعها  
 منافعها أو نقص ذلك مثلاً  
 وصحتها تدري بإتيان نفعها  
 كنطق وبطش والتصرف والنما  
 وعين امراض القلب فقد الذي له  
 أريد من الإخلاص والجهد فاعلموا  
 ومعرفة الشوق إليه إنابة  
 بإيثار ذا دون المحبات فاحكما  
 وموثر محبوب سوى الله قلبه  
 مريض على جرف من الموت والعمى  
 والظلم محذور خفا موت قلبه  
 عليه تشغل عن دواه بعندما  
 وآية ذا هون القبائح عنده  
 ولولاه أضحى نادماً متألماً  
 فجامع أمراض القلوب اتباعها  
 هواها فخالفها تصح وتسلم

ومن شؤمه ترك اغتذاء بنافع  
وترك الدواء الشافي وعجز كلاهما  
إذا صحّ قلب العبد بأن ارتحاله  
إلى داره الأخرى فراح مسلماً  
ومن ذاك إحساس المحب لقلبه  
بضرب وتحريك إلى الله دائماً  
إلى أن يهنا بالإنابة مخبئاً  
فيسكن في ذا مطمئناً منعماً  
وفيها دوام الذكر في كل حالة  
يرى الأنس بالطاعات لله مغنماً  
ولصحب حد دله في طريقه  
وكان معيناً ناصحاً متيمماً  
ومنها إذا ما فاته الورد مرة  
تراه كئيباً نادماً متألماً  
ومنها اشتياق القلب في وقت خدمة  
إليها كمشتد به الجوع والظما  
ومنها ذهاب الهم وقت صلاته  
بدنياه مرتاحاً بها متنعماً  
ويشتد عنها بعده وخروجه

وقد زال عند الهم والغم فاستما  
 فأكرم به قلباً سليماً مقرباً  
 إلى الله قد أضحى محباً مميماً  
 ومنها اجتماع الهم منه برّبه  
 بمرضاته يسعى سريعاً معظماً  
 ومنها مراعاة شخّ بعرضه  
 كما شح ذو المال البخيل مصمماً  
 ومنها اهتمام يثمر الحرص رغبة  
 بتصحيح أعمال يكون متمماً  
 بإخلاص قصد والنصيحة محسناً  
 وتقييده بالاتباع ملازمناً  
 ويشهد مع ذا منة الله عنده  
 وتقديره في حق مولاه دائماً  
 فست بها القلب السليم ارتداؤه  
 وينجو بها من آفة الموت والعمى (١)  
 وغني عن البيان أن قلب الإنسان بأصل الفطرة

---

(١) الشيخ محمد بن علي بن عتيق، الفرق المبين بين مذهب السلف  
 وابن سبعين وإخوانه الاتحادية الملحدين ص ١٩ - ٢٣.



صالح لقبول الهداية، وإنما ينحرف عن الجادة باتباع هواه والإقبال على الشهوات (١) والمطلوب من العقلاء أن يحافظوا على هذا الأصل السوي (٢): «فالقلب محتاج إلى ما يحفظ عليه قوته وهو الإيمان وأوراد

---

(١) انظر: الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٨٥، مرجع سابق.

(٢) استفدت في هذه الجزئية إلى جانب النصوص القرآنية والنبوية من إغاثة اللفهان وصفات المنافقين لابن قيم الجوزية، وطب القلوب جمع د. عجيل جاسم، بداية الهداية (أدب المسلم في اليوم والليلة لأبي حامد الغزالي، تحقيق محمد عثمان الخشت)، وجلسة على الرصيف للشيخ سلمان العودة، وهزال الروح أعراضه وعلاجه، اختيار دار الأرقم، وتركية النفس لأبي البراء، والفتور آثاره وأسبابه وعلاجه لجاسم الياسين، وتأملات في العقل والسلوك لمحمد إبراهيم التويجري، والطريق إلى القلوب لعباس حسين الجريسي، ودعوة في ذات المسلم، خليفة عبد الله القراشي، وروحانية الداعية للدكتور عبد الله علوان، وأثر الإيمان في حياة الفرد، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية وأزمة روحية لعصام العطار، وواحات الإيمان لعبد الحميد البلالي، وفقه النفوس في ضوء القرآن والسنة جمال ماضي.

الطاعات، وإلى حمية من المؤذي الضار وذلك باجتناب الآثام والمعاصي وأنواع المخالفات، وإلى استفراغه من كل مادة فاسدة تعرض له وذلك بالتوبة النصوح واستغفار غافر الخطيئات» (١).

ومرض القلب يحتاج إلى حفظ الصحة ابتداء، وإلى إعادتها دواماً، والصحة تحفظ بالمثل والمرض يزول بالضد فصحة القلب تحفظ باستعمال أمثالها أو هو ما يقوى العلم والإيمان من الذكر والتفكير والعبادات المشروعة، وتزول بالضد، فتزال الشبهات بالبينات وتزال محبة الباطل ببعضه ومحبة الحق (٢)، ومن لم يفعل مات قلبه، فأصبح إنساناً بلا حواس يقظة ولا مشاعر حية ولا عواطف ندية، ووجوده كعدمه ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٣).

(١) إغاثة اللهفان ج ١ ص ٢٥.

(٢) الفتاوى ج ١ ص ١٠١. (٣) سورة الأنعام الآية: ٣٦.

## المبحث الرابع:

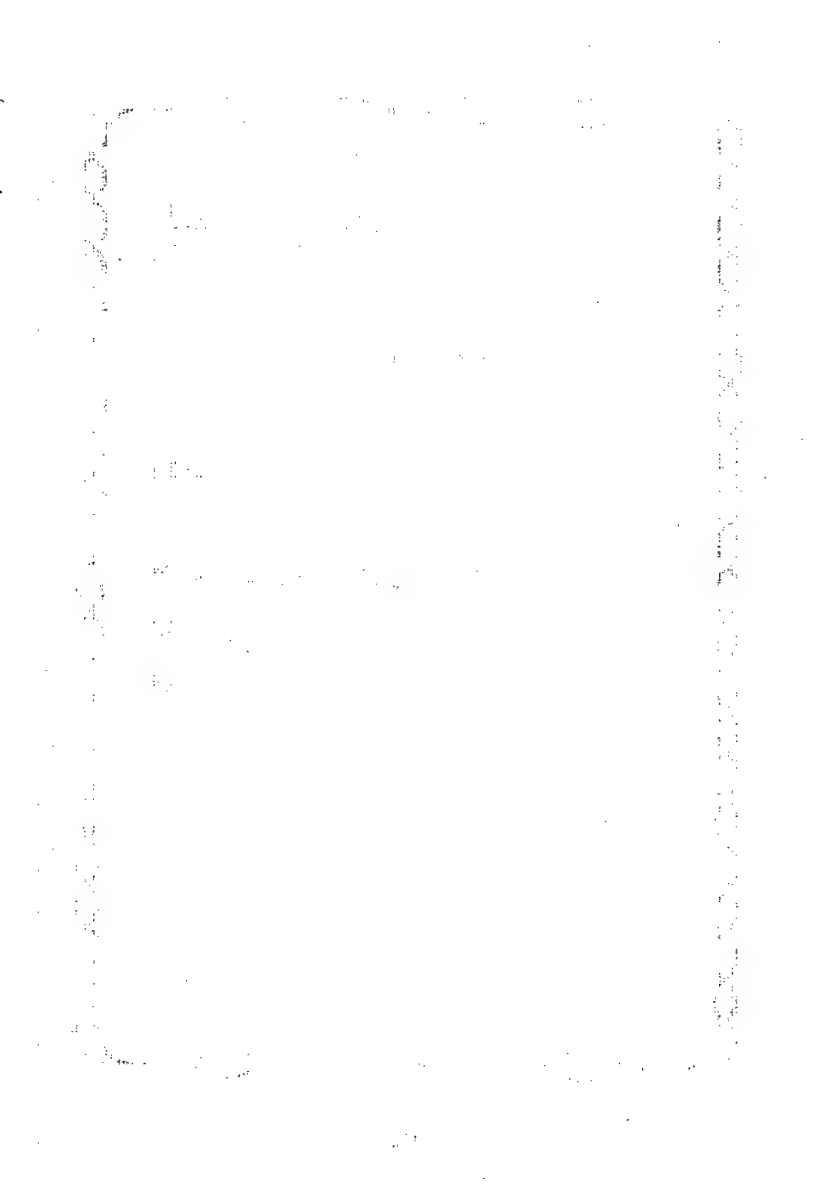
### أمراض القلوب

وفيه:

♥ حقيقة مرض القلب.

♥ مرض الشبهة.

♥ الشهوة.



## أولاً: حقيقة مرض القلب:

الحديث عن القلب في هذا الكتاب يركز كما مر من قبل على الجانب المعنوي، ومن هنا فإن مرض القلب الحسي ليس داخلياً هنا وإن كان قد كثر في هذه الأيام حتى أصبح سمة من سمات العصر.

وعلى هذا فإنما نعينه بمرض القلب هنا هو خروج القلب عن حد الاعتدال فيما يتعلق بإدراكه وإرادته، ومكنوناته مما يحدث ألماً وفساداً.

«إن القلب وغيره من الأعضاء يراد منه أن يكون صحيحاً سليماً لا آفة به، يتأتى منه ما هيء له، وخلق لأجله، وخروجه عن الاستقامة إما ببسه وقساوته، وعدم التأتى لما يراد منه، وإما بمرض وآفة تمنعه من كمال هذه الأفعال ووقوعها على السداد»<sup>(١)</sup>.

---

(١) طب القلوب ص ٧٠، مرجع سابق.

وقد ذهب العلماء في تفسير الآيات التي ورد فيها ذكر مرض القلب وصفاً للمنافقين إلى أن المراد به، إما الشك، أو الرياء، أو النفاق، أو كلها شك وريب ونفاق أو الحقد والحسد، أو شك وشرك وكفر ونفاق وشك في الدين على وجه التحديد (١) وتارة يفسر بالزنا والدغل (٢).

ومرض القلب يكون بالحب والبغض الخارجيين عن حد الاعتدال وهي الأهواء التي قال الله فيها: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ (٣) ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٤) ويكون لضعف إدراك القلب وقوته حتى لا يستطيع أن ينعم ويريد ما ينفع ويصلح له (٥) فهو مرض الشك والريب من جهة فساد

(١) تفسير ابن كثير ١/٤٨، ٢/٦٨، ٣/٢٣٠، ٣/٣٩٨، والممتح ص ٥ - ١٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٤٨٢، ٣/٥١٩، والفتاوى ج ١٠ ص ٩٢.

(٣) سورة القصص الآية: ٥٠.

(٤) سورة الروم الآية: ٢٩.

(٥) شيخ الإسلام ابن تيمية، الفتاوى ١٠/١٤٣.

الاعتقادات- وفساد الإرادات<sup>(١)</sup> أو هو قلب به حياة وبه علة، وعلة فساد العلم والقصد. ومن ثم فهو ليس على الحالة السوية أو هو كما وصفه ابن قيم الجوزية حيث يقول: «ومرضه هو نوع فساد يحصل له يفسد به تصوره للحق، وإرادته له، فلا يرى الحق حقاً، أو يراه على خلاف ما هو عليه، أو ينقص إدراكه وتفسد به إرادته له، فيبغض الحق النافع، أو يحب الباطل الضار أو يجتمعان له، وهو الغالب»<sup>(٢)</sup> وصدق والله فما حال بين الناس وبين الحق إلا فساد القلوب بالأمراض ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾<sup>(٣)</sup> ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُونَ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾<sup>(٤)</sup> ولا دفع الناس في طريق الغي إلا مرض القلوب أو عماها ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾<sup>(٥)</sup> فورود

(١) الفتاوى ١٠/ ١٤١.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٢٥، ٢٦.

(٣) سورة الأحزاب الآية: ١٢.

(٤) سورة النور الآية: ٥٠. (٥) سورة الأحزاب الآية: ٣٢.

الشبهات والشهوات على القلوب يقوي مرضها ومعروف  
أن إزالة المرض بالضد في مرض الجسم الطبيعي،  
وكذلك مرض القلب النفساني الديني الشرعي<sup>(١)</sup>، وما  
دامت أمراض القلوب محصورة في محورين كبيرين هما  
مرض الشبهة ومرض الشهوة، فإن شفاء القلوب منهما  
موقوف على ما يزيلهما وهو ما سيجري تفصيله في  
مبحث أدوية القلوب بإذن الله.

---

(١) انظر: الفتاوى ١٠/١٤٦.



## ثانياً: مرض الشبهة:

\* علاماته

\* حقيقته

### ١ - حقيقة مرض القلب بالشبهة:

حقيقة مرض القلب بالشبهة هو خروج القلب عن حد الاعتدال فيما يتعلق بإدراكه وإرادته من جراء الشك والريب حيث تفسد الاعتقادات والإرادات أو يفسد العلم والقصد. ذلك أن الله سبحانه وتعالى الذي ميز الإنسان بالعقل جعل القلب السليم عدته في الإدراك السليم والإرادة الصحيحة أو أداة الإنسان في صحة العلم والقصد.

وخروج القلب عن حد السلامة بالشبهة يفسد على المرء تصوره وإدراكه وإرادته بحيث يصبح عرضة للضياع والهلاك ويتعذر عليه ما خلق له من المعرفة بالله ومحبه والشوق إلى لقائه والإنابة إليه وإيثار ذلك على كل شهوة<sup>(١)</sup>، ومن هنا برزت أهمية التعرف على حقيقة

---

(١) انظر: إغاثة اللفهان ص ١١٣ ومختصر مدارج القاصدين

مرض القلب بالشبهة وكيف يعالج منها.

وقد أطنب شيخ الإسلام ابن تيمية في وظيفة القلب وما خلق له، وكيف أن استخدامه في غير ما خلق له مما يؤدي إلى هلاك الإنسان وذلك حيث يقول (١): «إن الله سبحانه وتعالى خلق القلب للإنسان ليعلم به الأشياء، كما خلق العين يرى بها الأشياء، والأذن يسمع بها الأشياء، كما خلق له كل عضو من أعضائه لأمر من الأمور، وعمل من الأعمال، فاليد للبطش، والرجل للسعي، واللسان للنطق، والفم للذوق، والأنف للشم، والجلد للمس، وكذلك سائر الأعضاء الباطنة والظاهرة. فإذا استعمل الإنسان العضو فيما خلق له، وأعد من أجله فذلك هو الحق القائم والعدل الذي قامت به السماوات والأرض، وكان ذلك خيراً وصلاً لذلك.

---

(١) رسالة في القلب وأنه خلق ليعلم له الحق ويستعمل فيما خلق له ص ١٣ - ١٧، تحقيق سليم عيد الهلالي، دار ابن الجوزية، الدمام، ط ١، ١٤١١ هـ.

العضو ولربه وللشيء الذي استعمل فيه وذلك الإنسان هو  
 الصالح الذي استقام حاله ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ  
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

وإذا لم يستعمل العضو في حقه بل ترك بطالاً  
 فذلك خسران وصاحبه مغبون، وإن استعمل في خلاف  
 ما خلق له فهو الضلال والهلاك وصاحبه من الذين بدلوا  
 نعمة الله كفراً، ثم إن سيد الأعضاء ورأسها هو القلب  
 كما سمي قلباً. قال النبي ﷺ: «إن في الجسد مضغة إذا  
 صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله  
 ألا وهي القلب» وقال ﷺ: «الإسلام علانية والإيمان في  
 القلب ثم أشار بيده إلى صدره وقال ألا إن التقوى  
 ها هنا».

وإذ قد خلق لأن يعلم به فتوجهه نحو الأشياء  
 ابتغاء العلم بها هو الفكر والنظر. كما أن إقبال الكلام  
 ابتغاء سمعه هو الإصغاء والاستماع وانصراف الطرف إلى  
 الأشياء طلباً لرؤيتها هو النظر. فالفكر للقلب كالإصغاء

(١) سورة البقرة الآية: ٥.

للأذن ومثله نظر العين كما سبق، وإذا علم ما نظر فيه  
فذاك مطلوبه كما أن الأذن إذا سمعت ما أصغت إليه، أو  
العين إذا أبصرت ما نظرت إليه.

وكم من ناظر مفكر لم يصب العلم ولم ينله، كما  
أنه كم من ناظر إلى الهلال لا يبصره، ومستمع إلى  
صوت لا يسمعه، وعكسه من يؤتى علماً بشيء ولم يتظر  
فيه ولم تسبق سابقة فكر فيه، كمن فاجأته رؤية الهلال  
من غير قصد إليه أو سمع قولاً من غير أن يصغي إليه،  
وذلك لأن القلب بنفسه يقبل العلم، وإنما الأمر موقوف  
على شرائط واستعداد وقد يكون فعلاً من الإنسان فيكون  
مطلوباً، وقد يأتي فضلاً من الله فيكون موهوباً.

فصلاح القلب وحقه الذي خلق من أجله هو أن  
يعقل الأشياء ولا أقول يعلمها، فقد يعلم الشيء من لا  
يكون عاقلاً له، بل غافلاً عنه ملقياً له، والذي يعقل  
الشيء هو الذي يقيده، ويضبطه ويعيه ويثبت في قلبه  
فيكون وقت الحاجة إليه غنياً فيطابق عمله قوله، وباطنه

ظاهره، وذلك هو الذي أوتي الحكمة ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، ثم إذا كان حق القلب أن يعلم الحق فإن الله هو الحق المبين ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾<sup>(٢)</sup>.. فإذا كان القلب مشغولاً بالله عاقلاً للحق مفكراً في العلم، فقد وضع في موضعه، كما أن العين إذا صرفت إلى النظر إلى الأشياء فقد وضعت في موضعها، أما إذا لم يصرف إلى العلم ولم يوع فيه الحق فقد نسي ربه، فلم يوضع في موضع بل هو ضائع ولا يحتاج أن نقول قد وضع في غير موضعه، بل لم يوضع أصلاً فإن موضعه هو الحق، وما سوى الحق باطل، فإذا لم يوضع في الحق لم يبق إلا الباطل، والباطل ليس بشيء أصلاً، وما ليس بشيء أخرى أن لا يكون موضعاً.

والقلب هو نفسه لا يقبل إلا الحق، فإذا لم يوضع فيه فإنه لا يقبل غير ما خلق له ﴿سُئِلَ اللَّهُ أَلَيْسَ قَدْ خَلَتْ مِنْ

(١) سورة البقرة الآية: ٢٦٩.

(٢) سورة يونس الآية: ٣٢.

قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾<sup>(١)</sup> وهو مع ذلك ليس  
بمتروك مخلى فإنه لن يزال في أدوية الأفكار وأقطار  
الأماني لا يكون على الحال التي تكون عليها العين والأذن  
من الفراغ والتخلي، فقد وضع في غير موضع لا مطلق  
ولا معلق، موضوع لا موضع له، وهذا من العجب،  
فسبحان ربنا العزيز الحكيم، وإنما تنكشف للإنسان عند  
رجوعه إلى الحق إما في الدنيا عند الإنابة أو عند المنقلب  
إلى الآخرة<sup>(٢)</sup>.

ونصوص القرآن التي سقت في المنافقين في  
مبحث أقسام القلوب باعتبار أصحابها كلها شواهد على  
مرض القلوب بالشبهات.

غير أن الشبه التي ترد على القلوب كثيرة ومتنوعة  
ليست محصورة في باب النفاق وكلها أو كثير منها ما لم  
يدفع يؤدي إلى الزيف والضلال يقول الرسول ﷺ: «يأتي

(١) سورة الفتح الآية: ٢٣.

(٢) المرجع السابق ص ٢١ - ٢٢.

الشیطان أحدكم فيقول من خلق كذا، من خلق كذا حتى يقول من خلق الله فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته» وفي لفظ: «فليقل آمنت بالله ورسله» (١) وفي لفظ آخر: «إن الله تعالى يقول إن أمتك لا يزالون يساءلون حتى يقولوا هذا الله خلق كل شيء فمن خلق الله» (٢) وهو دليل صريح على مبلغ حرص الشيطان لعنه الله على إغواء الناس بوسوسته وإلقائه في القلوب ليشكك الناس في الإيمان بربهم.

وفي هذه الوسوسة يقول ابن قيم الجوزية: «فإن الشيطان يصادف أرض القلب خالية فارغة فيبذر فيها حب الأفكار الردية فيتولد منه الإرادات والعزوم فيتولد منها العمل» (٣)، وكثير من النفوس يألف أصحابها الخواطر الردية (٤) عياذاً بالله.

وما أكثر الشبهات في عصرنا الحاضر، فكل

---

(١) الحديث متفق عليه.

(٢) كتاب الإيمان لابن منده، المجلد الثاني ص ٤٨٣.

(٣) مفتاح دار السعادة ج ١ ص ١٨٣.

(٤) انظر: تزكية النفس ص ٢٢.

التيارات الفكرية الضالة التي تشغل الناس وتمثل أساس  
كثير من الممارسات الإعلامية على مستوى العالم  
الإسلامي اليوم مثل العلمانية والقومية والوطنية  
والاشتراكية بل والشيوعية، فالمسلم اليوم كالقابض على  
الجمر من كثرة المعارضين وكثرة الفتن المضلة فتن  
الشبهات والشكوك والإلحاد وفتن الشهوات (١) حيث  
يترتب على كثير من هذه الفتن اعتقاد غير الحق المفضي  
إلى مرض القلب بل موته أحياناً كثيرة عياداً بالله.

وفي انشغال القلب بهذا الضرب من الباطل يقول  
ابن تيمية رحمه الله (٢): «إذا شغلته بما لم يخلق له  
فصرفته إلى الباطل حتى صار موضوعاً فيه ثم الباطل  
على منزلتين إحداهما تشغل عن الحق ولا تعانده مثل  
الأفكار والهموم التي من علائق الدنيا وشهوات النفس  
والثانية تعاند الحق وتصد عنه مثل الآراء الباطلة  
والأهواء المردية من الكفر والنفاق والبدع وشبه ذلك»

---

(١) انظر: بهجة القلوب ص ٣٦٨، مرجع سابق.

(٢) رسالة في القلب ص ٢٧، مرجع سابق.



وأعظم بهذا خطراً.

## ٢ - علامات مرض القلب بالشبهة:

ذكر العلماء جملة من العلامات تدل دلالة واضحة على مرض القلب بالشبهات، وينبغي لمن وجد في نفسه أي علامة منها أن يسارع إلى معالجة قلبه.

ومن أبرز تلك العلامات وأظهرها اتباع المتشابه من القرآن، وإظهار الإيمان باللسان دون مواطئة القلب والتمرد على حكم الله ورسوله، والمسارة في موالاة الكافرين، والرغبة في المعصية والتقايس عن الجهاد، وعدم إيلاء جراحات القبائح وجهل الحق، ومجمع ذلك عدول القلب المريض عن الأغذية النافعة الموافقة له إلى الأغذية الضارة وعدوله كذلك من دوائه النافع إلى دائه الضار (١).

---

(١) انظر: القلب لأحمد عز الدين البيانوني ص ١٠٢، ١٠٨، وانظر إغاثة اللهفان ج ١ ص ١١٣، وانظر مختصر منهاج القاصدين ص ١٥٥.

وهي علامات مستخلصة من النصوص القرآنية التي سبق إيرادها في مبحث أنواع القلوب باعتبار أصحابها مما يغني عن إعادتها هنا. والله أسأل أن يجعل قلوبنا صحيحة سليمة قانتة لله منيبة إليه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

### ٣ - حقيقة مرض القلب بالشهوة:

بيننا فيما مضى أن مرض القلب بصورة عامة هو خروجه عن حد الاعتدال أو هو تألم القلب والفساد فيه. ونقول هنا إن مرض القلب بالشهوة إنما هو الحب والبغض الخارجين عن حد الاعتدال وهي الأحوال التي قال الله فيها<sup>(١)</sup>: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَفْرِقْهُدَىٰ مِّنْ أَلَلَةٍ﴾<sup>(٢)</sup> فالميل عن الاعتدال سقم ومرض، والأهواء أدواء القلوب، وهناك تلازم بين: شهوة الهوى، وإمداد اعتلال القلوب وأسقامها إنما هو على أصلين فساد العلم وفساد القصد كما يقول ابن قيم الجوزية. وفي قوله

---

(١) انظر: الفتاوى ج ١٠ ص ١٤٣. (٢) سورة القصص الآية: ٥٠

سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ۖ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۖ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ۖ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۖ ﴿٤١﴾ ﴾ (١) ، غنية عن كل قول لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ولا شك أن الأخلاق الرذيلة وهي من مرض القلب مردّها إلى المراتد الفاسدة في النفس الإنسانية .

وأصل مرض القلب بالشهوة محبة النفس لما يضرها وقد يقترن به بغضها لما ينفعها ، وهذا كله فساد في القلب في تصويره وإرادته بل فساد في حسّه وحركته الطبيعية ، نسأل الله أن يعافي قلوبنا من كل داء ، ونعوذ به من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء .

والشهوات باب واسع يدخل تحته كل مشتهى ، ومن المشتهيات مباح ومنها ما هو محرم ، ومفسدت القلوب هي الشهوات المحرمة ومنها تتولد أمراض

---

(١) سورة النازعات الآيات : ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ .

القلوب، الشح والبخل والحسد والغل والحقد، والجهل والغنى والغم والهَم والحزن والغىظ والكبر والعجب والظلم وغيرها من الأمراض التي لا تدخل تحت حصر أعاذنا الله منها، ولكن يجمعها اتباع الهوى بغير هدى من الله وفي ذلك يقول الله جلّ جلاله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٣) ﴿١﴾ وقوله جلّ جلاله: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٠) ﴿٢﴾ وفيه أيضاً يقول الرسول ﷺ: «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، إن أعطي رضي وإن منع سخط» (٣).

(١) سورة الجاثية الآية: ٢٣.

(٢) سورة القصص الآية: ٥٠.

(٣) أخرجه البخاري.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على الحديث :  
«وهذا حال من كان متعلقاً برئاسة أو بصورة أو نحو  
ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضي وإن لم يحصل  
له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له إذ  
الرقّ والعبودية في الحقيقة هو رقّ القلب وعبوديته، فما  
استرق القلب واستعبده فهو عبده» (١) .

ومن بلغ به مرض القلب هذا الحدّ عياداً بالله فإنّه  
في أمسّ الحاجة إلى علاج لأنّه لا شك يتعذر عليه  
معرفة الحق من الباطل وتمييز الخير من الشرّ والغيّ من  
الرشاد وتلك منزلة عظيمة في مرض القلب نستجير  
بالله (٢) .

والعشق المحرم من الأمراض القلبية التي تفسد  
على المرء دينه وعرضه وقد تفسد عليه عقله وجسمه،

---

(١) طب القلوب ص ١٣٠ جمع مادته وأجرى حواره د. عجيل جاسم

النشمي، الكويت، دار الدعوة ١٤١١ هـ.

(٢) انظر: طب القلوب لابن تيمية ص ١٤٢ .

وليس من الحكمة ولا من العقل طلب الشفاء بالفجور  
 بالمعشوق كما يتصوره كثير من الناس بل على العكس  
 من ذلك فإن ذلك يزيد مرضه ويوجب له أمراضاً أخرى  
 أصعب من مرض العشق (١) فإن من في قلبه مرض  
 الشهوة وإرادة الصورة متى خضع المطلوب طمع  
 المريض فتقوى الإرادة والطلب ويقوى المرض (٢) عياداً  
 بالله . مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً  
 لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٣).

وصور الخلل في حياة الناس اليوم كثيرة من جواء  
 تشعب الأهواء وطغيان الهوى، ومنها التفرق والتمزق  
 التي تحدث في المجتمع بسبب ترك هذه الشريعة حتى  
 تفشت في الناس منكرات القلوب من الغلّ والحقد  
 والحسد والبغضاء والتناحر وما يترتب على اختلاف

(١) إغاثة اللفهان ج ١ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) الفتاوى ج ١٠ ص ١٣٤ .

(٣) سورة الحج الآية : ٥٣ .

القلوب من اختلاف التوجهات والآراء والأقوال والأعمال<sup>(١)</sup> وانتشار ما كره الله لعباده من كثرة القيل والقال باعتباره من دواعي الكذب وعدم الثبوت واعتقاد غير الحق، ومن أسباب وقوع الفتن وتنافر القلوب الاشتغال بالأمور الصّادة عن الأمر النافعة في حياة الناس مما يتنافى مع ما يحبه الله لعباده<sup>(٢)</sup>. نسأل الله السلامة والعافية.

ولأمراض القلوب هذه أدوية يرد ذكرها في موضعه المناسب بإذن الله.

---

(١) سلمان العودة، وسائل دفع الغربة، ص ١٠٨، دار الجوزي، الرياض، ط ١، ١٤١٢ هـ.

(٢) بهجة القلوب ص ٣٤٦، مرجع سابق.

### ثالثاً: علامات مرض القلب بالشهوة:

أبرز وأظهر علامات مرض القلب بالشهوة هو الميل والرغبة في المعصية وذلك من قوله تعالى: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنَ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّبَعْتَنُ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾<sup>(١)</sup> وهو الزنا كما ذهب إليه المفسرون<sup>(٢)</sup>.

لكن العلامات الأخرى التي جرى إيضاها في مرض القلب بالشبهة يدخل كثير منها أيضاً هنا كالمسارعة في موالاة الكافرين طمعاً في المال والجاه والتعاس عن الجهاد حباً في النفس والمال وبخلاً بها عياداً بالله.

فمن وجد في نفسه شيئاً من تلك العلامات فعليه المسارعة والمبادرة إلى معالجة قلبه بالأدوية التي سنفصلها في مبحث قادم بإذن الله.

---

(١) راجع تفسير ابن كثير وفتح القدير للشوكاني وغيرهما من التفاسير.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٣٢.



## المبحث الخامس:

### أدوية القلوب

وفيه:

- ♥ أهمية علاج القلوب.
- ♥ أنواع الأدوية.
- ♥ أدوية أمراض القلوب بالشبهات.
- ♥ أدوية أمراض القلوب بالشهوات.
- ♥ كيفية الوقاية من مرض القلب.
- ♥ كيفية المحافظة على صحة القلب وسلامته.
- ♥ منهج أهل السنة في تزكية القلوب.

1871

1872

1873

1874

1875

1876

1877

1878

1879

1880

1881

1882

1883

1884

1885

1886

1887

1888

1889

1890

1891

1892

1893

1894

1895

1896

1897

1898

1899

1900

1901

1902

1903

1904

1905

1906

1907

1908

1909

1910

1911

1912

1913

1914

1915

1916

1917

1918

1919

1920

1921

1922

1923

1924

1925

1926

1927

1928

1929

1930

1931

1932

1933

1934

1935

1936

1937

1938

1939

1940

1941

1942

1943

1944

1945

1946

## أولاً: أهمية علاج القلوب:

لما كان المدار على القلب كما أخبر الرسول ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله»<sup>(١)</sup> وكان القلب بذلك كالملك للأعضاء وهو المسئول عنها، كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده أولى ما اعتمد عليه السالكون. والنظر في أمراضه وعلاجها أهم ما تنسك به الناسكون<sup>(٢)</sup>.

لكن الناس اليوم غافلون عن هذه الحقيقة إلا من عصم ربي، فليس لأمراض القلوب من الاهتمام ما لأمراض الأبدان مع أن صحة القلب من حيث الأهمية للإنسان تفوق صحة البدن أضعاف المرات.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم فهو متفق عليه.

(٢) انظر: طب القلوب لابن قيم الجوزية ص ٢١٩.

ولما كان الرسول ﷺ قد أخبر عن إمكانية علاج الأمراض في قوله: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»<sup>(١)</sup>، فإن عدم السعي لعلاج أمراض القلوب قد يكون فيه رغبة عن ترغيب الرسول ﷺ في المداواة لأن عموم الحديث يقتضي أن جميع الأمراض الباطنة والظاهرة لها أدوية تقاومها، تدفع ما لم ينزل وترفع ما نزل بالكلية أو تخففه<sup>(٢)</sup>.

وذلك ما ليس مستساغاً ولا مقبولاً من مسلم صادق الإيمان، ومما لا شك فيه أنه إذا ترك علاج القلوب من الأمراض التي تعرض لها استفحل أمرها، ومتى أهمل تطهير النفوس من أدران النقائص والذائل عظم خطرهما وانتشر الفساد وهلك العباد وزاد البلاء وساء حال المجتمع<sup>(٣)</sup>.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب.

(٢) انظر: بهجة القلوب ص ٢٤٥.

(٣) انظر: هداية المرشدين، علي محفوظ، ص ٨٣.

ومما يؤكد أهمية علاج أمراض القلوب أن الطب النفسي يقف اليوم عاجزاً عن كثير من الأمراض العصرية التي أصبحت أمراضاً مزمنة للأجيال تلو الأجيال ومنها ما يؤلم المرء ويعزله عن بني جنسه، ومنها ما يضطرب بفكره حتى يشوش عليه عقله، ومنها ما يملك هواجس المرء وأحاسيسه ومشاعره حتى يفقد سيطرته على نفسه، وكم من أناس فقدوا شخصيتهم أو فقدوا عقولهم أو أصبحت الحياة سجنهم وعذابهم.

من ذلك يتبين أن طب القلوب بمعناه الاصطلاحي علم رفيع شأنه دقيقة مسالكه، صعبة مراقبه لا يسلك طريقه ويرتقي مدارجه إلا مؤمن ذو قلب صالح سليم شديد الحساسية، والشفافية صلته بالله وثيقة موثقة، وقلبه متعلق ومشرب للآخرة، يرجو على حذر ووجل<sup>(١)</sup>، ولا شك أن الشفاء إنما يحصل لمن يتعهد الدواء وهم المؤمنون وضعوا دواء القرآن على داء

---

(١) انظر: طب القلوب لابن تيمية ص ١٥.

قلوبهم (١).

ونحن في هذا الكتاب لا ندعي ما مرّ ولكن ذكرى  
لعلهم يتقون ذلك أن خراب القلوب من الأمراض  
والغفلة وعمارتها الخشية والذكر (٢) نسأل الله أن يجعلنا  
من أصحابها.

---

(١) الفتاوى ج ١٠ ص ١٤٣.

(٢) الفوائد لابن قيم الجوزية ص ١١١.

## ثانياً: أنواع أدوية أمراض القلوب :

مرّ معنا فيما مضى أن أمراض القلوب كثيرة ومتنوعة وإن كان يمكن إرجاعها إلى أصلين كبيرين هما مرض الشبهة، ومرض الشهوة لذلك فإن الأدوية أيضاً ينبغي أن تتنوع لتكافئ الأمراض، لكن كذلك يمكن إرجاع الأدوية كلها إلى نوعين هما الأدوية الطبيعية والأدوية الشرعية الإيمانية.

يقول ابن قيم الجوزية في بيان هذا: «فالغيب يؤلم القلب وشفاءه في شفاء غيظه، فإن شفاه بحق اشتفى وإن شفاه بظلم وباطل زاده مرضاً.. وكذلك الغم والهَم والحزن أمراض للقلب وشفائها بأضدادها من الفرج والسرور، فإن كان ذلك بحق اشتفى القلب وصحّ وبرأ من مرضه، وإن كان باطل توارى ذلك واشتدّ ولم يزل وأعقبه أمراضٌ هي أصعب وأخطر، وكذلك الجهل

مرض يؤلم القلب . . وكذلك الشاك في الشيء المرتاب فيه يتألم قلبه حتى يحصل له العلم واليقين ، والمقصود أن من أمراض القلوب ما يزول بالأدوية الطبيعية ومنها ما لا يزول إلا بالأدوية الشرعية الإيمانية» (١) .

وشفاء المريض لا شك بزوال مرضه وألمه . ومن الأمراض القلبية ما قد لا يتألم منه صاحبه ، لكن الحقيقة أن القلب المريض لا يحس بالألم لفساده ولأن سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم (٢) ، ومن الأمراض القلبية «مرض مؤلم في الحال كالألم والتحزن والغضب وهذا المرض قد يزول بأدوية طبيعية كإزالة أسبابه أو بالمداواة بما يضاد تلك الأسباب ، وأما أمراضه التي لا تزول إلا بالأدوية الإيمانية النبوية ، فهي التي توجب له الشقاء والعذاب الدائم إن لم يتداركها بأدويتها المضادة لها» فعلى الذين يتعرضون لهذه الأمراض أن

---

(١) إغاثة اللهفان ج ١ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) انظر : طب القلوب لابن قيم الجوزية ص ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٤ .



يبادروا إلى معالجتها بالأدوية المناسبة لها أعاذنا الله من  
جميع الأدواء والآفات والأسقام والأوجاع.

### ثالثاً: أدوية أمراض القلوب بالشبهات :

قد مضى أن الشبه التي تعرض للإنسان في هذا العصر كثيرة وأن غاية مشيرها إنما هي تشكيك الناس في دينهم ولا يزيل الشك والريب إلا اليقين . وقد تضمن كتاب الله من اليقين ما به الشفاء التام قال جلّ جلاله : ﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) وقال جلّ جلاله : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ (٣) ، وفي تضمن القرآن لدواء أمراض القلوب يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : «والقرآن شفاء لما في الصدور ومن في قلبه أمراض الشبهات

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٨٢ .

(٢) سورة يونس الآية : ٥٧ .

(٣) سورة فصلت الآية : ٤٤ .

والشهوات، ففيه من البيان ما يزيل الحق من الباطل  
فيزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك  
بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه.. فالقرآن مزيل  
للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة حتى يصحَّ القلب  
فتصلح إرادته ويعود إلى فطرته التي فطر عليها كما يعود  
البدن إلى الحال الطبيعي، ويغتذي القلب بالإيمان  
والقرآن بما يزكيه ويؤيده كما يغتذي البدن بما ينميه  
ويقويه فإن زكاة القلب مثل زكاة البدن» (١).

وفيه أيضاً يقول ابن قيم الجوزية: «قد تقدم أن  
جماع أمراض القلوب هي أمراض الشبهات والشهوات،  
والقرآن شفاء للنوعين، ففيه من البينات والبراهين  
القطعية ما يبين الحق من الباطل فتزول أمراض الشبهة  
المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء  
على ما هي عليه، وليس تحت أديم السماء كتاب  
متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية من

---

(١) الفتاوى جـ ١٠ ص ٩٦.

التوحيد وإثبات الصفات وإثبات المعاد والنبوات وردّ النحل الباطلة والآراء الفاسدة مثل القرآن، فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك» (١).

وبعد القرآن تأتي سنّة الرسول ﷺ، وقد أرشد عليه الصلاة والسلام إلى علاج مرض القلب بالشبهة في حديث الوسوسة الذي مرّ من قبل وفيه ثلاث مسائل:

١ - الانتهاء.

٢ - التعوذ بالله من الشيطان.

٣ - أن يدفعه بما يضاده من الإيمان بالله ورسوله.

«فهذا الإيمان الصادق اليقيني يدفع ما يضاده من الشبهة المنافية له، فإن الحق يدفع الباطل والشكوك لا تعارض اليقين، فهذه الأمور الثلاثة التي ذكرها النبي ﷺ تبطل هذه الشبهة التي لا تزال على ألسنة الملاحدة يلقونها بعبارات متنوعة، فأمر بالانتهاء الذي يبطل التسلسل الباطل، وبالتعوذ من الشيطان الذي هو الملقى

---

(١) إغاثة اللهفان ج ١ ص ٧٣، ٧٥.

لهذه الشبه، وبالإيمان الصحيح الذي يدفع كل ما يضاده من الباطل والحمد لله، فبالانتهاء قطع الشر مباشرة، وبالاستعانة قطع السبب الداعي إلى الشر، وبالإيمان اللجأ والاعتصام بالاعتقاد الصحيح اليقيني الذي يدفع كل معارض. وهذه الأمور الثلاثة هي جماع الأسباب الدافعة لكل شبهة تعارض الإيمان» (١) فتنبغي العناية بها كلما عرضت شبهة أو اشتباه.

والاتصال بالله علاج للقلوب من كل أمراضها ومن شأن الصلة القوية بالله سبحانه وتعالى الارتباط بالوحي بشقيه القرآن والسنة وهما جماع دواء القلوب.. يقول ابن قيم الجوزية مبيناً الفرق الشاسع بين هذا الدواء والأدوية الحسية «نسبة ما عندهم من الطبّ إلى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم إلى ما جاءت به الأنبياء، بل ها هنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء ولم تصل إليها

---

(١) بهجة القلوب ص ٤١، ٤٣.

علومهم وتجاربهم وأقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية، وقوة القلب واعتماده على الله، والتوكل عليه والالتجاء إليه، والانطراح والانكسار بين يديه والتذلل له، والصدقة والدعاء والتوبة والاستغفار والإحسان إلى الخلق وإغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب. فإن هذه الأدوية لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم أعلم الأطباء ولا تجربته ولا قياسه...

ولكن لأسباب متنوعة فإن القلب متى اتصل برّب العالمين وخالق الداء والدواء مدير الطبيعة ومصرفها على ما يشاء كانت له أدوية أخرى غير الأدوية التي يعاينها القلب البعيد منه المعرض عنه» (١) عياداً بالله.

فكل من تعرض لمرض القلب بالشبهة فليفر إلى الله بصدق ويتخذ من القرآن تلاوةً وتدبراً وفهماً وعملاً وتحكماً واستشفاءً بلسمًا شافيًا لمرضه وكذلك عليه تقوية صلته بحديث رسول الله ﷺ قراءة وفهماً وتدبراً

---

(١) طب القلوب ص ٦٨.

وعملاً باعتبار التمسك بهما أقرب السبل الموصلة إلى  
الله ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ  
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣) ﴿١﴾  
نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل وأن يرزقنا سلوك سبيله  
المستقيم وأن يبعدنا عن سلوك سبل الشيطان إنه ولي  
ذلك والقادر عليه .

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١٥٣ .

## رابعاً: أدوية أمراض القلوب بالشهوات :

كما كان القرآن شفاء لأمراض القلوب بالشبهات فإنه كذلك شفاء لأمراض القلوب بالشهوات ففيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة ما يوجب صلاح القلوب فترغب فيما ينفعها وترغب عما يضرها فيكون القلب محباً للرشاد مبغضاً للغي بعد أن كان مريداً لهما<sup>(١)</sup>، وكذلك ما في القرآن من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وضرب الأمثال وبيان أحوال من تنكبوا الصراط المستقيم، فهو بذلك كله مزيلٌ للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة فيصلح القلب وتصلح إرادته ويعود إلى فطرته فتصح أفعاله الكسبية الخيرية<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: الفتاوى جـ ١٠ ص ٩٥.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان جـ ١ ص ٧٣ - ٧٥.



ولا شك أن التقوى والصبر والإنابة إلى الله والخوف منه في مقدمة أدوية القلوب المرضى بالشهوة «وليس المقصود قمع هذه الصفات الذميمة بالكلية وإنما المطلوب من الرياضة ردّ الشهوة إلى الاعتدال الذي هو وسيط بين الإفراط والتفريط» (١).

وكذلك التوبة علاج لمرض القلب بالشهوة فإن القلب إذا تخلص من الذنوب بالتوبة فقد استفرغ من تخليطه فتخلصت قسوة القلب وإرادته للخير فاستراح من تلك الجوانب الفاسدة والموارد الردية، فزكا ونما وقوي واشتدّ (٢). يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك القلب إذا تاب من الذنوب كان است فراغاً من تخليطاته حيث خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فإذا تاب من الذنوب تخلصت قوة القلب وإرادته للأعمال الصالحة واستراح القلب من تلك الحوادث الفاسدة التي كانت فيه» (٣).

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ١٥٢.

(٢) إغاثة اللهفان ج ١ ص ٧٧.

(٣) الفتاوى ج ١٠ ص ٩٦ - ٩٧.

والعدل أيضاً من أدوية القلوب المريضة بالشهوة ذلك أن صحة القلب وصلاحه في العدل ومرضه من الزيغ والظلم والانحراف<sup>(١)</sup>، وقبل ذلك معرفة القلب ربه: «فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وأن تكون مؤثرة لمرضاته ولمحابه متجنبه لمناهيه ومساخطه ولا صحة ولا حياة إلا بذلك ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل»<sup>(٢)</sup>.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في بيان أهمية الإيمان لصلاح القلوب «فالله غرس شجرة الإيمان في قلوب المؤمنين بحسب إيمانهم وقدر من ألطافه وفضله من الواجبات والسنن ما يقي هذه الشجرة وينميها ويدفع عنها الآفات حتى تكمل وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها»<sup>(٣)</sup>، وفي دعائه ﷺ: «اللهم إني أسألك الهدى

(١) المرجع نفسه ص ٩٩.

(٢) طب القلوب لابن قيم الجوزية ص ٦٣، ٦٥.

(٣) بهجة القلوب ص ١٠٥.

والتقى والعفاف والغنى»<sup>(١)</sup> إرشاد إلى سبل العلاج  
تلك .

«فالهدى : هو العلم النافع والتقى : العمل الصالح  
وترك المحرمات كلها، هذا صلاح الدين وتمام ذلك  
بصلاح القلب وطمأنينته بالعفاف عن الخلق والغنى بالله،  
ومن كان غنياً بالله فهو الغني حقاً وإن قلت حواصله،  
فليس الغني عن كثرة العرض إنما الغني غني القلب»<sup>(٢)</sup>  
وعلى ذلك فالدين الحنيف هو الدواء المفيد لشفاء  
القلوب من أمراضها<sup>(٣)</sup> «فالأمور النافعة في الدين ترجع  
إلى أمرين : علم نافع، وعمل صالح، أما العلم النافع : فهو  
العلم المزكى للقلوب والأرواح المثمر لسعادة  
الدارين»<sup>(٤)</sup> .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) بهجة القلوب ص ١٤٥ .

(٣) بهجة القلوب ص ٨٣ .

(٤) بهجة القلوب ص ٥٤ ، ٥٥ .

والاستعانة بالله والحرص على ما ينفع الإنسان  
تنفيذاً لأمر الرسول ﷺ: «احرص على ما ينفعك واستعن  
بالله» (١) من أعظم الطرق لراحة القلب وأدعى لحصول  
القناعة والحياة الطيبة (٢).

والزهد في الدنيا والعمل للآخرة من أقوم السبل  
لصلاح القلوب يقول ابن حزم: «إذا تعقبت الأمور كلها  
فسدت عليك وانتهيت في آخر فكرتك باضمحلال جميع  
أحوال الدنيا إلى أن الحقيقة إنما هي العمل للآخرة فقط  
﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾» (٣) لأن كل أمل  
ظفرت به فعقباه حزن إما بذهابه عنك أو بذهابك عنه ولا بد من  
أحد هذين الشيئين إلا العمل لله عز وجل فعقباه على كل حال  
سرور في عاجلٍ وآجلٍ؛ أما العاجل فقلة الهم بما يهتم به الناس  
وإنه به معظم من الصديق والعدو وأما في الآجل فالجنة» (٤).

(١) رواه مسلم ٢٦٦٤ من حديث أبي هريرة.

(٢) بهجة القلوب ص ٥٨.

(٣) سورة الأنفال الآية: ٦٧.

(٤) الأخلاق والسير في مداواة النفوس ص ١٣.

وصدق التوجه إلى الله سبحانه وتعالى من أنفع أدوية القلوب وعلاج لكثير من أمراضها وخاصة مرض الهمّ الذي قلّ من يسلم منه يقول ابن حزم في بيان ذلك: «وليس في العالم منذ كان إلى أن يتناهى أحد يستحسن الهمّ ولا يريد طرده عن نفسه فلما استقرّ في نفسي هذا العلم الرفيع وانكشف هذا السرّ العجيب وأنا لله تعالى لفكري هذا الكنز العظيم بحثت عن سبيل موصلة على الحقيقة إلى طرد الهمّ الذي هو المطلوب للنفس الذي اتفق جميع أنواع الإنسان الجاهل منهم والعالم والصالح والطالح على السعي له فلم أجدها إلا التوجه إلى الله عز وجل بالعمل للآخرة» (١) وصدق والله.

ونختتم الحديث عن أدوية مرض القلب بالشهوة بكلام سيد قطب رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٢) يقول: «المنهج

(١) المرجع السابق ص ١٤، ١٥. (٢) سورة الأعراف الآية: ١٠٠.

القرآني حين يستخدم هذا التحذير إنما يعالج أطوار  
النفوس والقلوب المثقلة ويطبّب كلاً منها بالطبّ  
المناسب في الوقت الملائم فيعطى جرعة من الأمن  
وجرعة من الخوف والحذر والترقب لبأس الله»<sup>(١)</sup>

---

(١) في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٣٤١.

## خامساً: الوقاية من أمراض القلوب :

لما كانت الشبهات والشهوات هي محور مرض القلب فإن المسلم العاقل عليه أن يحذر منها غاية الحذر وقاية لقلبه من المرض، فبتحقيق الإيمان الكامل يحصل اليقين القائم على اليقينة والبرهان، وبه تدفع الشبهات، وبتحقيق التقوى والاستقامة على الحق والصبر على ذلك تدفع الشهوة، وذلك ما يمكن استنباطه من النصوص القرآنية التي تضمنت هذه الأدوية فيما مضى، والنصوص القرآنية والنبوية الأخرى التي لم تذكر حرصاً على عدم الإطالة.

فلا شك أن التوجيهات الربانية في تلك النصوص وغيرها هي من أقوى مصادر القوة الإيمانية والعاطفة الدينية التي لا تزال الأمة تقتبس منها شعلة الإيمان لتوقد محاجر القلوب في مواجهة الرياح المادية العاتية التي

تحاول إخماد هذه المحاجر (١) ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَقُومُوا لِلَّهِ لَجَعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣) وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٤) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ (٤)

والعمل بهذه النصوص وحدها والوقوف عندها كفيلاً بتحقيق الوقاية لقلب المسلم من المرض «فالقلوب أوعية كالأدوية فلا بد من تزكية لصدد الشهوات والشبهات، فباليقين تذهب الشبهات، وبالصبر تذهب

(١) انظر: المطهرة ص أ، ص ٣.

(٢) سورة الأنفال الآية : ٢٤ .

(٣) سورة الأنفال الآية : ٢٩ .

(٤) سورة النور الآيتان : ٣٠ ، ٣١ .



الشهوات حتى يتحقق للمرء صلاح قلبه حيث علّق الانتفاع بالدين بصلاح القلب»<sup>(١)</sup> ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

ونختم الحديث عن وقاية القلوب من المرض بكلام لابن قيم الجوزية حول فوائد غض البصر: «في غض البصر عن المحارم ثلاثة فوائد:

- ١ - حلاوة الإيمان.
- ٢ - نور القلب وصحة الفراسة.
- ٣ - قوة القلب وثباته وشجاعته، فيعطيه الله بقوته سلطان النصر كما أعطاه بنوره سلطان الحجة فيجمع له بين السلطانين فيهرب الشيطان منه»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) تزكية النفوس ص ١١.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٢٢.

(٣) إغاثة اللفهان ص ٧٨، ٧٩.

سادساً: المحافظة على صحة القلب وسلامته :  
 متى ما تأكد المرء من صحة قلبه وسلامته فإنه مطالب بالمحافظة عليه، «فالقلب محتاج إلى ما يحفظ عليه قوته وهو الإيمان وأوراد الطاعات وإلى حمية من المؤذي الضار وذلك باجتناب الآثام والمعاصي وأنواع المخالفات وإلى استفراغه من كل مادة فاسدة تعرض له وذلك بالتوبة النصوح واستغفار غافر الخطيئات»<sup>(١)</sup>، وكذلك كل ما يورث القلب إيماناً من العلم النافع والعمل الصالح فتلك أغذية له<sup>(٢)</sup> بها يصح القلب ويستقيم، فاستقامة القلب واعتداله واقتصاده وحميته وعاقبته وصلاحه متلازمة<sup>(٣)</sup>.

(١) طب القلوب لابن قيم الجوزية ص ١٦٣ .

(٢) الفتاوى ج ١٠ ص ١٣٦ .

(٣) الفتاوى ج ١٠ ص ١٣٨ .

يقول ابن تيمية رحمه الله في بيان ما يحفظ على الإنسان صحة قلبه: «فأخبر (أي الله) أنه فطر عباده على إقامة الوجه حنيفاً وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فهذه من الحركة الطبيعية المستقيمة المعتدلة للقلب وتركها ظلم عظيم اتبع أهله أهواءهم بغيز علم، ولا بد لهذه الفطرة والخلقة وهي صحة الخلقة من قوت وغذاء يمدّها بنظير ما فيها مما فطرت عليه علماً وعملاً، ولهذا كان تمام الدين بالفطرة المكملّة بالشريعة المنزلّة» (١) ويقول: فصحة القلب تحفظ باستعمال أمثال ما فيها أو هو ما يقوى العلم والإيمان من الذكر والتفكر والعبادات المشروعة، والمرض يزول بالضد، فتزال الشبهات بالبينات وتزول محبة الباطل ببيغضه ومحبة الحق» (٢).

---

(١) الفتاوى ج ١٠ ص ١٤٦، ١٤٧.

(٢) الفتاوى ج ١٠ ص ١٤٥.

## سابعاً: منهج أهل السنة في التزكية:

لما كان صلاح القلب هو حياته، وكانت هذه الحياة مرتبطة بخلوه من كل ما يحول بينه وبين معاني الإيمان من الشرك والنفاق وسوء الأخلاق فإن منهج أهل السنة والجماعة مستمد من هذه الحقيقة وتمثلت دعائمه في:

١ - التزكية بالتوحيد.

٢ - التزكية بفعل الواجبات وترك المحرمات.

٣ - التزكية بفعل النوافل المشروعة (١).

ومصادر هذا المنهج هي الكتاب والسنة ﴿قَدْ

جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ  
اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكَ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ

---

(١) التزكية بين أهل السنة والصوفية ص ١٧ - ٣١.

الْظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ  
 مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴿١﴾ «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن  
 تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي» ﴿٢﴾ مصداقاً لقوله  
 تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ  
 مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٣﴾ «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا  
 تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ  
 تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾ ﴿٤﴾ نسأل الله أن يرزقنا العمل بهذا المنهج  
 حتى نكون من المفلحين ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿٩﴾ «وَقَدْ خَابَ مَنْ  
 دَسَّاهَا﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٥﴾ «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿١٤﴾ «وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ  
 فَصَلَّى﴾ ﴿١٥٠﴾ ﴿٦﴾ .

(١) سورة المائدة الآيتان: ١٥ ، ١٦ .

(٢) رواه مالك في الموطأ في القدر رقم (٣) ، ورواه الحاكم ٩٣/١  
 موصولاً وغيره بلاغاً من حديث ابن عباس وفي إسناده ضعف ، وجاء  
 أيضاً من حديث أبي هريرة وعمرو بن عوف المزني وإسنادهما  
 ضعيف جداً .

(٣) سورة الزخرف الآية: ٤٣ . (٥) سورة الشمس الآيتان: ٩ ، ١٠ .

(٤) سورة الأنعام الآية: ١٥٣ . (٦) سورة الأعلى الآيتان: ١٤ ، ١٥ .



## الفصل الثاني:

تأثر سلوك الإنسان بحال قلبه

وفيه:

- ♥ علاقة حال القلب بالسلوك.
- ♥ أثر حالة القلب في علاقة الإنسان بالآخرين.
- ♥ مدار الأمر على القلب.

1870

1871

1872

1873

1874



## المبحث الأول: علاقة حال القلب بالسلوك

لما كان سلوك الإنسان هو المظهر الخارجي لمكونات نفسه، وكانت أعمال الجوارح ثمرة لأعمال القلب صحّ أن يقال إن سلوك الإنسان من حيث الصحة والسداد والرشاد أو الغي والفساد هو صورة صادقة لحال قلبه من السلامة والمرض والموت، فالله سبحانه وتعالى ربّ صلاح الأعمال على صلاح القلوب ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ (١) كما ربّ الرسول ﷺ استقامة الإيمان على استقامة القلب، قال أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره

---

(١) سورة الشعراء الآيتان: ٨٨، ٨٩.

بل إن من تدبر نصوص القرآن التي أوردناها في الفصل الأول من هذا الكتاب بمباحثه المختلفة لا يصعب عليه إدراك هذه الحقيقة فإنه يرى أن الله سبحانه وتعالى قد أثبت لأصحاب القلوب الحية السليمة ضرورياً من السلوك تناسب حياتها وسلامتها، مَرَّ بيانها في مبحث أنواع القلوب باعتبار حالها ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ (٢) ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٣) ﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (٤). كما أثبت لأصحاب القلوب الميتة كذلك ضرورياً من السلوك تناسب حالها ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴾ (٥) ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ (٦) ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا

(١) رواه الإمام أحمد ج ٣/ ١٩٨، وفيه علي بن مسعدة وهو لا يحتج به.

(٢) سورة الأنعام الآية: ٣٦. (٤) سورة فصلت الآية: ٥.

(٣) سورة المؤمنون الآيتان: ٦٠، ٦١. (٥) سورة النساء الآية: ١٥٥.

يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴿١﴾ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴿٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١١﴾ ﴿٣﴾ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿٤﴾ وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِشَأْنِ الْقُلُوبِ الْمَرِيضَةِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴿٥﴾ ﴿٥﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴿٦﴾ ﴿٦﴾ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿٧﴾ ﴿٧﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٨﴾ ﴿٨﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٩﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ

(١) سورة المطففين الآية: ١٤ . (٥) سورة آل عمران الآية: ٧ .

(٢) سورة الأنبياء الآيات: ١ - ٢ - ٣ . (٦) سورة المائدة الآية: ٥٢ .

(٣) سورة محمد الآية: ١٦ . (٧) سورة البقرة الآية: ١١٨ .

(٤) سورة الحديد الآية: ١٦ . (٨) سورة التوبة الآية: ٤٥ .

الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿١٦﴾ ﴿١﴾ ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوَاءً وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ ﴿١٧﴾ ﴿٢﴾ . وهي نصوص كلها تؤكد حقيقة ارتباط سلوك الإنسان بحال قلبه .

وبين الله سبحانه وتعالى مكانة القلب في أعمال الإنسان ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُحْوَ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ ﴿٣﴾ ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ﴿٤﴾ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ ﴿٥﴾ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٦﴾ ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَلْبُهُ﴾ ﴿٧﴾

(١) سورة البقرة الآيات : ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) سورة الفتح الآية : ١٢ . (٥) سورة الحجرات الآية : ٧ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٢٥ . (٦) سورة الأنفال الآية : ٢٤ .

(٤) سورة الحجرات الآية : ١٤ . (٧) سورة البقرة الآية : ٢٨٣ .

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (١)  
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ  
 قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ  
 الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٣) ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ  
 فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَٰكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ (٤) (\*).

وقد استقر هذا المعنى في نفوس السلف الصالح، وعبر  
 عنه بصور مختلفة، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يقرر أن  
 الجانب الروحي أو النفسي<sup>(٥)</sup> يلعب دوراً مهماً في تقرير  
 السلوك الذي يحقق الخير أو الشر والذي يترتب عليه الشقاء أو

(١) سورة الحج الآية: ٣٢.

(٢) سورة الحجرات الآية: ٣.

(٣) سورة محمد الآية: ٢٤.

(٤) سورة الأحزاب الآية: ٥.

(\*) هذه النصوص سبق تحديد مكانها من كتاب الله فيما مضى.

(٥) هو يرى أن الروح والنفس يطلقان على مسمى واحد، النظرية

الخلقية عند ابن تيمية، عبد الله عفيفي، مركز الملك فيصل،

ط ١، ١٤٠٨ هـ.

وابن قيم الجوزية يقول<sup>(٢)</sup>: «فإن من عدم القلب الواعي عن الله لم ينتفع بكل آية تمر عليه ولو مرت به كل آية ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾»<sup>(٣)</sup>.

ولا شك أن القلب إذا استنار بنور التوحيد أدرك ما ينفعه وما يضره وانعكست آثاره على الجوارح، فكان على المسلم أن يسعى لإصلاح قلبه ما استطاع<sup>(٤)</sup>.

يقول الشيخ عبد الرزاق عفيفي<sup>(٥)</sup> معلقاً على كلام لابن تيمية يصف فيه بعض المشائخ بأنه له أحوالاً زكية

(١) المرجع السابق، المدرك نفسه.

(٢) مفتاح دار السعادة جـ ١ ص ١٦٦.

(٣) سورة يوسف الآية: ١٠٥.

(٤) انظر: تأملات في العقل والسلوك، محمد بن إبراهيم التويجري ص ٣١.

(٥) الوصية الكبرى لابن تيمية، تحقيق علي حسن علي عبد الحميد، ص ٢٦.

وطريقة مرضية وله مكاشفات وتصرفات يقول: «المراد استنارة القلب وصفاء البصيرة ونفوذ الفكر وإحقاق الحق وقوة الفراسة بتقوى الله والوقوف عند حدوده كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنفَعُوا اللَّهَ يُجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾»<sup>(١)</sup> حتى المرائى في المنام من حيث الصلاح والاستقامة لا تخرج عن هذه القاعدة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلا يظنّ أحد أن هذا الدجال الذي رآه هو ربّه، ولكن الذي يقع لأهل حقائق الإيمان من المعرفة بالله ويقين القلوب ومشاهداتها وتحليلاتها هو على مراتب كثيرة، قال النبي ﷺ لما سأله جبريل عن الإحسان قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإن كان في إيمانه

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٢٩.

نقص رأى ما يشبه إيمانه» (١).

حتى الدعاء مرتبط بحال القلب يقول الرسول ﷺ :  
«القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله عز وجل أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل» (٢) ويقرر ابن حزم أنه: «ليس بين الفضائل والرذائل ولا بين الطاعات والمعاصي إلا نفار النفس وأنسها فقط، فالسعيد من أنست نفسه بالفضائل والطاعات ونفرت من الرذائل والمعاصي، والشقي من أنست نفسه بالرذائل والمعاصي ونفرت من الفضائل والطاعات وليس هناك إلا صنع الله وحفظه» (٣).

---

(١) الوصية الكبرى، ص ٤٢ - ٤٣.

(٢) انظر: الحديث في مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر (٦٦٥٥) ج ١٠ ص ١٤٢ قال أحمد شاكر إسناده صحيح. قلت: ولكن في إسناده عبد الله بن لهيعة وهو لا يحتج به على الأرجح وفيه بكر بن عمرو وهو ليس بالمشهور.

(٣) الأخلاق والسير ص ١٨.



ومن ثم فإن القلب الحي الصافي المشرق من مقومات الانتصار على النفس (١) «ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل» (٢) ولهذا ف«إن الله لم يشبه هذا الدين في ثباته واستقراره بصخرة صماء لا نمو فيها ولا حياة إنما شبهه بشجرة طيبة ثابتة نامية مثمرة فالأصل الثابت هو التوحيد والعبودية لله والإيمان بالغيب والنبوة واليوم الآخر، وأما أكلها: فالتقوى ورقابة الله والإخلاص لله والجهد والاجتهاد» (٣) والكلمة الطيبة التي شبهت بالشجرة الطيبة مستقرها القلب السليم الخالي من الشرك والنفاق أعادنا الله منها جميعاً وذلك ما يؤكد ارتباط السلوك بحال القلب «فالعبادة بجميع أنواعها إنما تصدر من تأله القلب بالحب والخضوع والتذلل رغباً ورهباً وهذا ما لا يستحقه إلا الله» (٤).

---

(١) فتحي يكن، ماذا يعني انتمائي للإسلام.

(٢) قيل إنه من كلام الحسن البصري.

(٣) خصائص مدرسة النبوة، د. كمال محمد عيسى، ص ٤١، دار الشروق.

(٤) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، شرح فتح المجيد، ص ٣٢.

## المبحث الثاني: أثر حالة القلب في علاقة الإنسان بِالآخرين

علاقة الإنسان بالآخرين من حيث سلوكه تجاههم أو سلوكهم تجاهه أحد مظاهر السلوك الإنساني العام الذي نظمته شريعتنا الغراء ووضعت له من الضوابط والقواعد ما يجعله النموذج المثالي في العلاقات الإنسانية.

وكما كان مدار الأمر في صلة الإنسان بربه هو القلب السليم فإن مدار الأمر أيضاً في هذا الجانب من السلوك إنما هو على القلب، فإن كان القلب سليماً جاءت العلاقات البشرية المرتبطة به في صورة سوية جميلة وأثمرت كل المعاني الإنسانية الخيرية الفاضلة في التعامل بين بني البشر، قال تعالى في حق نبيه ﷺ:

﴿فِمَارْحَمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ

حَوْلَكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾<sup>(١)</sup> يقول مختصر تفسير الشوكاني: «والمعنى أن لينه لهم ما كان إلا بسبب الرحمة العظيمة من الله تعالى لتأليف قلوب أصحابه واستقامة أمر الدين»<sup>(٢)</sup>.

ويقول جلّ جلاله بشأن المؤمنين: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾<sup>(٣)</sup>. . المراد الأوس والخزرج كانت بينهم عصبية شديدة وحروب عظيمة فألف الله بين قلوبهم بالإيمان برسول الله ﷺ، وقيل أراد التأليف بين المهاجرين والأنصار»<sup>(٤)</sup> وهذا نص ظاهر الدلالة في مبلغ ما للقلب المحشو بالإيمان من أثر في إقامة علاقات مثلى بين البشر.

ومثله ما امتن الله به على نبيه ﷺ في قوله جلّ جلاله:

(١) سورة آل عمران الآية: ١٥٩ . (٣) سورة آل عمران الآية: ١٠٣ .

(٢) زبدة التفسير ص ٨٩ . (٤) زبدة التفسير ص ٢٣٦ .

﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ٦٢ ﴿وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٦٣ ﴿<sup>(١)</sup> فهو بين الدلالة على هذا المعنى بحيث لا يحتاج إلى تعليق .

أما إن كان القلب ميتاً أو مريضاً فإن العلاقات البشرية المرتبطة به تكون في غاية السوء وتثمر كثيراً من المعاني الرديئة والصور السيئة في التعامل بين البشر مصداق ذلك قوله تعالى :  
﴿لَا يُقْنِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ١١ ﴿<sup>(٢)</sup> أي بعضهم غليظ على بعض وقلوبهم مختلفة ونياتهم متباينة ، أي أن اجتماعهم إنما هو في الظاهر مع تخالف قلوبهم في الباطن مختلفة آراؤهم ، مختلفة شهادتهم ، مختلفة أهواؤهم <sup>(٣)</sup> .

(١) سورة الأنفال الآيتان : ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) سورة الحشر الآية : ١٤ .

(٣) زبدة التفسير ص ٧٣٢ .

وفي هذا ما فيه من تمزق في العلاقات البشرية  
واختلال في الحياة الإنسانية التي قوامها هذه القلوب  
الخربة والمقصود هو البيان والإيضاح وليس الاستقصاء  
فيما تقدم مقنع وغنية.

## المبحث الثالث: مدار الأمر على القلب

لن يصعب على من تتبع الآيات القرآنية التي سيقّت في الفصل الأول من الكتاب أن يدرك بسهولة أن القلب هو حقيقة الإنسان، ومن عجيب صنع الله أن جعل بصحته الحسية وبقائه وانتظام دورته حياة الجسد، وجعل بطهارته وسلامته من الآفات حياة الروح<sup>(١)</sup>.

والقلب وهو بهذه المثابة هو موطن الإدراك والعلم من الإنسان، وهو المخاطب والمطالب والمعاتب، وهو مكنن المشاعر من حبّ وبغض ووساوس وخطرات، وهو قبل ذلك موضع الإيمان والكفر والإنابة والإصرار والطمأنينة والاضطراب، فهو العالم بالله المتقرب إليه والعامل له والساعي إليه، والجوارح أتباع وخدم، قال

---

(١) مفتاح دار السعادة ص ٩٣.

أبو هريرة رضي الله عنه : «القلب ملك والأعضاء جنوده فإن طاب الملك طابت جنوده إذا خبث خبثت جنوده»، وهو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله والمحجوب عنه إذا استغرق بغير الله فهو مناط السعادة إذا زكاه صاحبه والشقاء إذا دنسه ودسأه، فهو في الحقيقة المطيع لله وإنما تنتشر على الجوارح من العبادات أنواره، وهو العاصي المتمرد على الله وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره، وهو الذي إذا عرفه الإنسان عرف نفسه وإذا جهله جهل نفسه، ومن لم يعرف نفسه لم يعرف ربه، وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه<sup>(١)</sup>.

وبعد هذا الاجمال يحسن بعض التفصيل ، فقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن القلب موضع الإيمان ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ

---

(١) انظر: القلب (مكانته، أحواله، مرضه، شفاؤه) أحمد عز الدين البياتوني، دار السلام، ص ١١ - ١٢.

لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴿١﴾  
﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ  
يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ  
يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٢٥﴾ ﴿٢﴾ وكذلك هو  
موضع الكفر بالنص نفسه، ومواطن النفاق والارتياب ﴿إِنَّمَا  
يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَلَّتْ قُلُوبُهُمْ  
فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ ﴿٤﴾ ﴿٣﴾ وكذلك هو موضع التَّيَّة  
والإخلاص بالنصوص التي رتبت المؤاخذة على ما استقر فيه  
ولقوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا  
نَوَى» ﴿٤﴾ وقوله: «الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من  
أحببت من عبادي» ﴿٥﴾ وهو كذلك موطن العزم ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ  
بِالْحَكَامِ يَظْلَمِ نَفْسَهُ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٠﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ

(١) سورة الزمر الآية: ٢٢ .

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٢٥ .

(٣) سورة التوبة الآية: ٤٥ .

(٤) الحديث متفق عليه .

(٥) الحديث رواه القشيري نقلاً عن كتاب القلب، وقيل إنه لا يصح .



مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ فِي شَيْءٍ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ  
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴿١﴾ وقوله ﷺ: «إذا التقى  
المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله  
هذا القاتل فما بال المقتول قال إنه كان حريصاً على قتل  
صاحبه» ﴿٢﴾ والقلب كذلك موضع الأمانة ففي الحديث المتفق  
عليه: «إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن  
فعلموا من القرآن وعلموا من السنة» ﴿٣﴾ وهو موضع التقوى  
﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ﴿٤﴾  
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ  
قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ ﴿٥﴾ وهو موضع البر والإثم ﴿وَلَا تَكْتُمُوا  
الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ ﴿٦﴾ ولقوله ﷺ:  
«جئت تسأل عن البر . . استفت قلبك» ﴿٧﴾ والقلب كذلك

(٤) سورة الحج الآية: ٣٢ .

(١) سورة الحج الآية: ٢٥ .

(٥) سورة الحجرات الآية: ٣ .

(٢) الحديث متفق عليه .

(٦) سورة البقرة الآية: ٢٨٣ .

(٣) أخرجه الشيخان .

(٧) الحديث رواه أحمد والدارمي .

موضع الذكرى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (١)  
والحديث: «إذا أراد الله بعبده خيراً جعل له واعظاً من قلبه يأمره  
وينهاه» (٢).

«ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب  
والاعتماد عليه أجلب عليه بالوساوس وأقبل بوجوه  
الشهوات إليه وزين له من الأحوال والأعمال ما يصده  
عن الطريق وأمدّه من أسباب الغي بما يقطعه عن أسباب  
التوفيق ونصب له من المصايد والحبال ما إن سلم من  
الوقوع فيها لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق، فلا  
نجاة من مصايده ومكايده إلا بدوام الاستقامة والاستعانة  
بالله تعالى والتعرض لأسباب مرضاته والتجاء القلب إليه  
واقباله عليه في حركاته وممكناته والتحقق بذل العبودية  
الذي هو أولى ما تلبس به الإنسان ليحصل له الدخول  
في ضمان ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾، فهذه  
الإضافة هي القاطعة بين العبد وبين الشيطان وحصولها

---

(١) سورة ق الآية: ٣٧.

(٢) الحديث رواه الديلمي، وهو ليس بصحيح.

في ضمان ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾<sup>(١)</sup> ، فهذه  
 الإضافة هي القاطعة بين العبد وبين الشيطان وحصولها سبب  
 تحقيق مقام العبودية لرب العالمين ، وإشعار القلب بإخلاص  
 العمل ودوام اليقين ، فإذا أشرب القلب العبودية والإخلاص  
 صار عند الله من المقربين وشمله استثناء ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ  
 الْمُخْلِصِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وما دام أن أشرف ما في الإنسان قلبه وهو الذي عليه  
 المعول فإنه ينبغي أن يفهم أن معرفة القلب وصفاته أصل الدين  
 وأساس طريقة السالكين<sup>(٤)</sup> ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ  
 الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> وذلك بأن يمنع  
 معرفة الله ومراقبته .

ثم إن : « القلب بأصل فطرته قابل للهدى ، وبما وضع فيه

(١) سورة الحجر الآية : ٤٢ . (٢) سورة الأنفال الآية : ٢٤ .

(٣) سورة ص الآية : ٨٣ .

(٤) طب القلوب لابن قيم الجوزية ص ١٨٤ .

(٥) انظر : منهاج القاصدين ص ١٤٨ .

من الشهوة والهوى مائل عن ذلك والتطارد فيه بين جندي  
الملائكة والشياطين دائم إلى أن يفتح القلب لأحدهما فيتمكن  
ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاصاً كما قال تعالى : ﴿ مِنْ  
شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ (١) وهو الذي إذا ذكر الله خنس  
وإذا وقعت الغفلة انبسط ، ولا يطرد جند الشياطين من القلب  
إلا ذكر الله تعالى فإنه لا قرار له مع الذكر (٢) .

وهذه المكانة العظيمة للقلب في حياة الإنسان  
وهذا الخطر العظيم الذي يتهده كل ذلك يجعل المسلم  
دائم التضرع لله سبحانه وتعالى بأن يهدي قلبه وأن يثبت  
على دينه : «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» (٣) ذلك  
أنه : «ما من قلب إلا بين اصبعين من أصابع الرحمن إن شاء  
أقامه وإن شاء أزاعه» (٤) .

ومن خلال استعراض النصوص القرآنية التي

(١) سورة الناس الآية : ٤ .

(٢) المرجع السابق نفسه والمدرک نفسه . (٣) سبق تخريجه .

(٤) أخرجه النسائي ٧٧٣٨ في الكبرى وابن ماجه ١٩٩ من حديث

النواس بن سمعان وهو حديث صحيح وجاء من غيره .

تناولت قضية القلوب يستطيع المرء أن يلحظ تركيزاً على جوانب عليها مدار حياة الإنسان فقضية الخوف والأمن من القضايا التي تشغل بال الإنسان في القديم والحديث، ونجد أن مدار الأمر فيها على القلوب ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقضية الفاعلية والإيجابية أو السلبية في هذه الحياة أيضاً المعول فيها إنما هو على القلب ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمَ قُلُوبِهِمْ وَجِلَّةٌ أُنْفُسُ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾<sup>(١)</sup> ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا

- 
- (١) سورة التوبة الآية: ١١٧ . (٤) سورة الرعد الآية: ٢٨ .  
 (٢) سورة الأحزاب الآية: ٢٦ . (٥) سورة الأنعام الآية: ٨٢ .  
 (٣) سورة الأحزاب الآية: ١٠ . (٦) سورة الفتح الآية: ٤ .

سَيَقُونَ ﴿١١﴾ ﴿١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴿٢﴾ وَيَا نَ ذَلِكْ فِي قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه» (٣) وليس بعد بيان الله ورسوله ﷺ بيان.

وقضية الإدراك عمادها القلب ﴿فَاتَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿٤﴾ ﴿١١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٢٧﴾ ﴿٥﴾ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ

(١) سورة المؤمنون الآيتان: ٦٠، ٦١.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ١٢.

(٤) سورة الحج الآية: ٤٦.

(٥) سورة ق الآية: ٣٧.

(٣) رواه مسلم ١٤٤.

النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ﴿١﴾  
 وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ  
 فُرْطًا ﴿٢﴾.

وفي بيان تلك الحقيقة يقول ابن تيمية رحمه الله :  
 «وكذلك من نظر إلى الأشياء بغير قلب أن استمع إلى  
 كلمات أهل العلم بغير قلب فإنه لا يعقل شيئاً فمدار  
 الأمر على القلب» (٣)، ويقول سيد قطب رحمه الله :  
 «دلائل الإيمان والهدى حاضرة في الوجود وفي  
 الرسائل تدركها القلوب المفتوحة والبصائر  
 المكشوفة» (٤)، ويقول عباس حسن السيدي : «إن للداعية  
 قلباً ولا يستجاب لمن لا قلب له وقلب المؤمن مصدر  
 توجيه واستشعار» (٥) ولا شك أن البصيرة التي يجعلها

(١) سورة الأنبياء الآيات : ١ - ٢ - ٣ .

(٢) سورة الكهف الآية : ٢٨ .

(٣) رسالة في القلب ص ٩ .

(٤) الظلال ج ٣ ص ١٤٠١ .

(٥) الطريق إلى القلوب ص ٢٣ ، مكتبة المنار .

الله في قلوب المؤمنين أركى في المعرفة من حظ البصر  
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ  
عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩) (١)  
﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا  
هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (٢٠) (٢) فإن البصر إنما هو بنور الإيمان  
والعلم، وعلى هذا فالقلب الحي هو آلة السمع، ومن  
هنا يقع التفاوت في الفقه عن الله والفهم عنه والابتهاج  
والنعيم بسماع كلام الله فيأنس الإنسان. . وذلك لأن هذا  
الأنس المذكور يكون مبدؤه الكشف عن أسماء الصفات  
التي يحصل عنه الأنس ويتعلق بها كاسم: «الجميل والبر  
واللطيف والودود والحليم والرحيم ونحوها ثم يقوى  
التعلق بها حتى يكون معه طيب الحياة وقرة العين ولذة  
القلب وبهجة الروح مع كمال العافية بلا محنة والهداية  
بلا فتنة فتخف أعباء المسير ويزول كل فتور ويظل القلب

(١) سورة الأنفال الآية: ٢٩.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٢٠١.



في ازدياد من معاني الخير دائماً» (١) .

وكما كان المعول على القلب في قضية الإدراك فإن  
المعول على القلب كذلك في قضية الكسب والمواخذه على  
العمل ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ  
قُلُوبُكُمْ﴾ (٢) ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا  
تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (٣) ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا  
أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ (٤) ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ  
بِالْإِيمَانِ﴾ (٥) ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٦) قال  
رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن  
ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (٧) .

«والأعمال إنما تتفاضل ويعظم ثوابها بحسب ما  
يقوم بقلب العامل من الإيمان والإخلاص» (٨) .

(١) ابن قيم الجوزية ص ٤٦١ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٢٥ .

(٣) سورة الأحزاب الآية : ٥ .

(٤) سورة الأنفال الآية : ٧٠ .

(٥) سورة النحل الآية : ١٠٦ .

(٦) سورة الأحزاب الآية : ٥١ .

(٧) أخرجه مسلم .

(٨) بهجة القلوب ص ٢١ .

«وقد دلت نصوص الكتاب والسنة الكثيرة على أن الإيمان يشمل ما في القلوب من العقائد الصحيحة وأعمال القلوب من الرغبة في الخير والرغبة من الشر ومن أعمال الجوارح ولا يتم ذلك إلا بالثبات عليه» (١).

ولما كان صحابة رسول الله ﷺ هم أزكى الناس قلوباً بعد رسول الله ﷺ وكانوا أفضل الناس بعد الأنبياء سلام الله عليهم فأتوا بذلك فهما لا يدركه اللاحقون. قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر إلى قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعته برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يتلقون عنه دينه» (٢).

وقد رد الله سبحانه وتعالى دعاوى المشركين الباطلة ضد محمد ﷺ بحال قلبه ﷺ: ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخَيِّمِ

---

(١) المرجع نفسه ص ٣١.

(٢) أخرجه أحمد ج ١/ ٣٧٩ وإسناده جيد.

عَلَى قَلْبِكَ» (١) كما رد على الأعراب دعوى الإيمان بحال قلوبهم ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٢).

وكما كانت قضية الأمن والخوف في الدنيا وثيقة الصلة بالقلب كانت القضية نفسها في الآخرة أيضاً ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٣) ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (٦) ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (٧) ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (٨) ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ﴾ (٥) وقصة الأنصاري الذي أبلغ الرسول ﷺ الصحابة أنه من أهل الجنة عندما رصد عبد الله بن عمرو حاله وسأله أجابه بقوله: «ما هو إلا ما رأيت غير أنني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشاً ولا حسداً خيراً أعطاه الله إياه» (٦) بالغة الدلالة على مكانة القلب السليم في تحقيق الأمن يوم القيامة.

(١) سورة الشورى الآية: ٢٤.

(٢) سورة الحجرات الآية: ١٤.

(٣) سورة الشعراء الآية: ٨٩.

(٤) سورة النازعات الآيات: ٦ - ٧ - ٨.

(٥) سورة غافر الآية: ١٨. (٦) الفتاوى ج ١٠ ص ١١٩.

وأبلغ من ذلك قوله ﷺ: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»<sup>(١)</sup> وفي رواية أخرى: «من إيمان مكان خير» ويقابل الأمن المستفاد من هذه النصوص النبوية الخوف المتضمن في قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». الكبر بطر الحق وغمط الناس»<sup>(٢)</sup>.

وكان السلف الصالح يدركون مكانة القلب السليم في تحقيق السلامة يوم القيامة ويبلغون غاية الجهد في تزكية قلوبهم وتنقيتها من الشوائب. سئل الجنيد كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله تعالى قال: «توبة تحل الإصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على قصد مسالك العمل، وذكر الله على اختلاف الأوقات، وإهانة

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان.

(٢) رواه مسلم.

النفس بقربها من الأجل وبعدها من الأمل قليل: فبم يصل العبد إلى هذا؟ فقال: بقلب مفرد فيه توحيد» (١).

والعلم حياة هذا النوع من القلوب به يبلغ العبد منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة (٢) مع أن مجرد العلم لا يحصل به الاهتداء إن لم يعمل به (٣).

اللهم ارزقنا علماً نافعاً وعملاً صالحاً متقبلاً.

---

(١) تزكية النفوس ص ٢٣ .

(٢) طب القلوب لابن قيم الجوزية .

(٣) الفتاوى جـ ١٠ ص ١٠٧ .



## الخاتمة

بعد أن منّ الله بإتمام هذا الكتاب الذي أسأل الله أن يجعله عملاً صواباً خالصاً لوجهه فإنه لا يسعني في ختامه إلا أن أوصي نفسي وإخواني بوصية الله إيانا والذين من قبلنا في قوله جلّ جلاله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ (١) كما أوصيهم بالحرص على سلامة قلوبهم وتفقدتها ورعايتها دائماً وذلك بتحقيق الاستجابة لله سبحانه وتعالى والاستقامة حتى تتحقق لهم البشرى في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٢) ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣) وأحذرهم من الغفلة

(١) سورة النساء الآية: ١٣١.

(٢) سورة فصلت الآية: ٣٠.

(٣) سورة الأحقاف الآية: ١٣.

وأورد في هذا السياق أبياتاً نقلتها من تفسير ابن كثير  
رحمه الله .

يا من تصبح إلي داعي الشقاء وقد  
نادى به الناعيان الشيب والكبر  
إن كنت لا تسمع الذكر ففيم ترى  
في رأسك الداعيان السمع والبصر  
ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل  
لم يهده الهاديان العين والأثر  
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك  
الأعلى ولا النيران الشمس والقمر

ليرحلن عن الدنيا وإن كرها  
فراقها الشاويان البدو والحضر

وكلاماً مفيداً آخر قال : « أبو حازم لسليمان بن  
عبد الملك حينما سأله ما لنا نكره الموت فقال أبو  
حازم : لأنكم أعمرتم دنياكم وخربتم أخراكم فمما تحبون  
الانتقال من العمران إلى الخراب قال سليمان ليت شعري  
حالنا عند الله فقال أبو حازم تجده عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ



لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴿١﴾ قال سليمان : فكيف القدوم على الله ، فقال أبو حازم : أما المطيع فكالغائب يقدم على أهله فرحاً مسروراً ، وأما العاصي فكالعبد الآبق يقدم على سيده خائفاً محزوناً ، قال سليمان : أوصني وأوجز ، فقال أبو حازم : اتق الله أن يفقدك حيث أمرك أو يجدك حيث نهاك ﴿٢﴾ .

وهي في نظري محاورة تستحق الاهتمام لذلك أوردها في ختام كتابي هذا الذي أرجو أنه يختم لمؤلفه وقارئه بالخاتمة الحسنة .

وبعد فإن ما في هذا الجهد من توفيق فمن الله وما فيه من خلل أو قصور فمن نفسي ومن الشيطان والله المستول أن يعفو ويتجاوز وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) سورة الانفطار الآية : ١٣ .

(٢) تأملات في العقل والسلوك ص ٤٨ ، ٤٩ .



# الفهرس

٥	المقدمة .....
١٣	الفصل الاول .....
١٥	المبحث الاول .....
٢٥	المبحث الثاني .....
١٠٥	المبحث الثالث .....
١٣٥	المبحث الرابع .....
١٥٧	المبحث الخامس .....
١٨٧	الفصل الثاني .....
٢١٩	الخاتمة .....